ناصر (يوليو) 1987



سلسلة تحقق اشتراكية الثقافة

115

عبدالله بلال

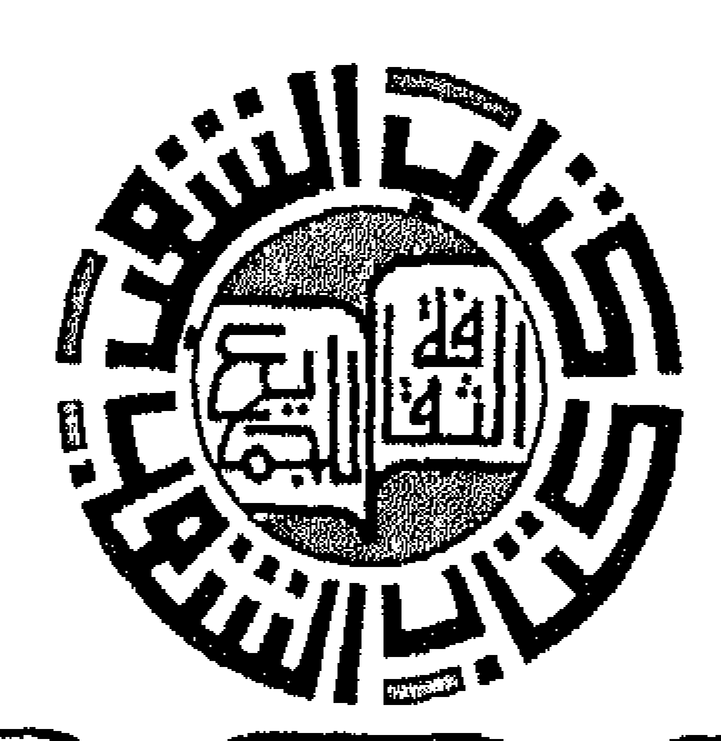
التواصل الثقافي العربي



الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان

مصراتة ـ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

التواصل الثقافي العربي



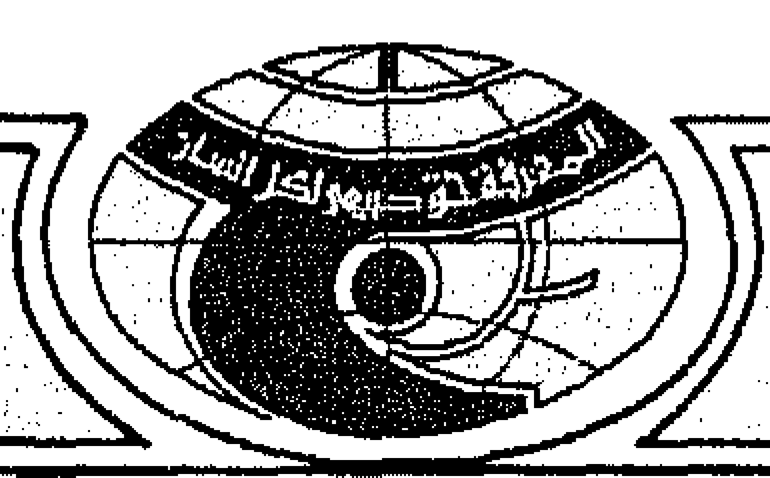
ناصر
(يوليو)

115
1987

سلسلة تحقق اشتراكية الثقافة

عبد الله بلال

التواصل الثقافي العربي



الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان
مصراتة الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى



الطبعة الأولى

1396 و. ر ـ 1987 م

الكمية المطبوعة

5000 نسخة

رقم الايداع

1987 - 307

دار الكتب الوطنية
بنغازي

الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان

مصراتة ـ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

ص.ب 17459 مبرق (تلكس) 30098 "مطبوعات"

من أجل ثورة ثقافية تنتصر لقضايا الحرية

«نريد أن تسود الثقافة الثورية والأدب الثوري وتكنس إلى الأبد الثقافة الرجعية والأدب البورجوازى.

وأتمنى أن تكون هناك ثقافة تعيد لنا الثقة بأنفسنا. . وهناك أدب يمسح من دماغنا جميع فساد الماضي».

من خطاب الأخ القائد الثائر معمر القذافى
في لقائه برابطة الأدباء والكتاب
والفنانين بالجماهيرية

«لأن الاستعمار الذي عشش في أذهاننا، هو أخطر من الاستعمار الذى تمركز فى قواعده وفى معسكرات تستطيع

أن تداهمها ونشن عليها حرباً تحريرية كما حصل فيما مضى، ولكن للأسف هناك عقليات أصبحت رغم أنها عربية أصبحت غريبة على الأمة العربية..»

خطاب الأخ القائد الثائر معمر القذافي
الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الثاني لوزراء الثقافة العرب
طرابلس الجماهيرية فبراير 1979

كلمة لا بد منها

الثقافة العربية.. تواصل أم انقطاع.. ولماذا؟

تساؤل محدد تجتهد دراسات هذا الكتاب للإجابة عليه مع اطلالة للقضايا المتعددة المتفرعة عن هذا التساؤل، ونظرة متفحصة لما وصل إليه الواقع العربى وثقافته نتيجة غيبة التواصل الثقافى حيث أصبح كل قطر عربى وكأنه جزيرة نائية معزولة عن غيرها من جزر لا يعرف أحد ما يجرى داخلها وانقطعت هى الأخرى عمّا يجرى حولها. بينما حقيقة الأمور تقول أنّ الأمة العربية من محيطها إلى خليجها «وطن عربى واحد» وأن ما بين

أقطاره من سدود وبوابات وحواجز عوامل مصطنعة ضد التاريخ وضد المنطق وضد الطبيعة.

و.. وقضية التواصل الثقافى ليست قضية ترف ثقافى ولا هى مسألة تخص المثقفين فقط، وليست هى بالقضية الموسمية التى تطرح على فترات وتنتهى بعد نشر عدة مقالات تقف فقط عند حدود البكاء على الثقافة العربية ثم تتخذ عدة توصيات عاطفية من باب المجاملة وإبراء الذمة..

وبعدها لا شيء .. لا شيء إلا أن يقتحم الوطن العربى تيارات معادية وثقافات غريبة وغزو فكرى يقتحم دون هوادة عقل الإنسان العربى ويعمل فعله فى التغييب والتغريب ويزيد من تراكم كل ما هو تافه وسطحى، وتعمد إبعاد الإنسان العربى عن حقائق واقعه وقضاياه المصيرية.

و.. وقضية التواصل الثقافى قضية وجود أمة ومصير أجيال كما أن التواصل الثقافى العربى من أهم ركائز أسلحة المواجهة ومن أقوى مقومات التغلب على

التحديات، يزيد من تصليب أرض المعركة لأنه يقوى ويعمق أهم مكونات الذاتية العربية وإذا كانت حصوننا الثقافية مهددة بل ومقتحمة من الداخل فإن كل الحصون والترسانات حتماً ستتهاوى عند أول ضربة من العدو. . وهذا ما تريد دراسات هذا الكتاب أن تضغط على حقائقه. . تطرح بصدق وتنبه بحب علّها تجد من الغيورين على مصير الأمة العربية. . المتطلعون إلى وحدتها وانتصارها. . علّها تجد من كل هؤلاء الأحباء قبولاً حسناً وأذاناً واعية. و. . وقبل فوات الأوان. . .

فبراير - 1986 **عبد الله بلال**

ق

التواصل الثقافى العربى.. قضية مصير

قضية التواصل الثقافى العربى رغم أهميتها كقضية انتماء قومى ومصير مستقبلى لم تنل حقها الكامل من الدراسة والتحليل المتكامل لأبعادها وطرح التصورات والحلول العملية التى تكفل إزالة ما يسود الوطن العربى من غُربة ثقافية وانقطاع أواصر أهم مقوم أساسى من مقومات الهوية القومية.ونعنى اللغة العربية وما تفرزه من إبداعات أدبية ونتاج فكرى.

لقد كان ـ ولا يزال ـ حصاد هذه الغُربة أن أصبحت

أقطار الوطن العربى أشبه ما تكون بالجزر المتعددة والمنعزلة عن بعضها.

إن بعض النـداءات الواعيـة المخلصة نبهت إلى خـطورة استمرار الانقـطاع الثقافى العـربى الحالى، وطالبت بالتواصل الثقافى العربى، لكن هذه النداءات، رغم بواعثها المخلصة ودوافعها القومية النبيلة ضاعت وسط (الضجيج) الذى يغطى الساحة العربية ويحول بضوضائه دون الاستماع الهادىء إلى أية صـيـحـة جادة تستهدف إيقاظ الواقع الثقافى العربى من ركوده ورقوده.

كذلك شهدت الساحة العربية العديد من الملتقيات والمؤتمرات والندوات الثقافية التى تعرضت في موضوع دراستها لواقع الثقافة العربية وتحدياتها، وصدرت في ثنايا بيانات هذه الملتقيات بضع توصيات عن ما يسمى بـ «الأمن الثقافى». وما يرتبط بهذه القضية من موضوعات ثقافية وتعليمية.

وهذه السطور إسهاماً فى طرح قضية التواصل الثقافى العربى بهدف فتـح حوار قـومى حول هـذه القضية

المصيرية وصولاً إلى تحقيق الوحدة الثقافية بين أبناء الوطن العربى والتمكين لتدفق الفكر العربى وإبداعاته كى تزول حالة الجزر الثقافى الذى يسود الوطن العربى ويحجب ما تموج به المنطقة من نتاج وإسهامات ثقافية.

إن إطلالة سريعة تحليلية على الواقع الثقافى العربى تكشف حجم مأساة الغربة الثقافية ونتائج ما أحدثه الانقطاع بين أقطار الوطن العربى بفعل عوامل عديدة حيث لا يدرى قطر عربى ما يدور داخل القطر العربى الآخر من نشاط ثقافى وأدبى، وبالتالى (تقوقع) أدباء كل قطر داخل (سياج) أقطارهم، وانعدمت روابط التواصل الثقافى بين الكتاب والأدباء.

ولا نعنى بالتواصل الثقافى اللقاءات العابرة فى الندوات والمؤتمرات التى تنظمها مؤسسات ثقافية عربية مثل المنظمة العربية للثقافة والعلوم والتربية، واتحاد الكتاب العرب، واتحاد الناشرين العرب، والمجلس القومى للثقافة العربية، واجتماعات مجامع اللغة العربية، واتحاد الصحفيين العرب، واتحاد المعلمين

العرب.. فمثل هذه اللقاءات لا تتجاوز عدة أيام، ولبعض الخبراء المتخصصين فى الأجهزة الثقافية الرسمية تنتهى بإصدار بيانات ختامية تعود بعدها الوفود كل إلى قطره دون أن تلمس الجماهير العربية نتائج تلك المؤتمرات، أو تحقق تواصلاً ثقافياً عميقاً ومستمراً بين أكبر قاعدة من المثقفين وتظل الغربة الثقافية على حالها إن لم تتزايد حدتها.. فهذا قطر عربى مشرقى وذاك قطر عربى مغربى، وذلك قطر عربى خليجى لا يعرف أى قطر عن القطر الآخر شيئاً من أنشطته الثقافية والأدبية والفكرية.

على سبيل المثال لا الحصر لمجرد الاستشهاد، فإن كاتب القصة أو الشاعر أو الفنان أو المسرحى فى قطر عربى ما نتيجة انقطاع التواصل الثقافى ـ لا يعرف ما يجرى في القطر العربى الآخر من أنشطة فى مجالات تخصصه لعدم وصول المؤلفات والأعمال الثقافية والفنية!

من هنا تبرز أهمية التواصل الثقافى العربى باعتبارها

قضية قومية هامة ينبغي تناولها بجدية وعمق كقضية مصير عربى .. قضية انتماء قومى وليست مسألة ثانوية هامشية تأتى عرضاً كلما ورد الحديث حول ما اصطلح على تسميته بـ «الأمن الثقافى العربى».، فالتواصل الثقافى العربى يعنى أول ما يعنى تمتين الجذور الثقافية وتفاعل الفكر القومى وإتاحة تدفقه تياراً واعياً يحفظ للجماهير هويتها القومية، وتصليب الأرضية والقناعات التى تنطلق منها.. والمسألة الثقافية كما يصفها الدكتور عبد الله عبد الدائم هي أم المسائل، والعديد من المشكلات المتعلقة بالتنمية الاقتصادية والتنمية التربوية مرتبط بالقيم شرط لازب لأى تنمية، وتجاهل شأن الثقافة جهل ببنية التنمية ومقوماتها ومستلزماتها، كما أن التنمية الثقافية ليست شرطاً للتنمية عامة فحسب، بل هي أيضاً غاية التنمية.

وحقيقة أزمة التنمية ـ في العصر الحديث ـ أنها كادت تجعل الإنسان في خدمتها بدلاً من أن تكون في خدمة الإنسان.. فى خدمة مطالبه وحاجاته الإنسانية العميقة.

والثقافة العربية كما تشكلت تاريخياً. «مقوم أساسى من مقومات الشخصية العربية وعنصر أساسى كذلك فى وحدة الأمة العربية، وإن التفاعل الثقافى العربى يؤدى عملياً إلى إبطال حجة من يريد أن يزعم أن الوطن العربى لا يضم ثقافة واحدة بل يضم ثقافات متباينة متعددة! إنه لا بد أن يكشف من خلال المعاناة والاتصال عن عمق الوحدة الثقافية بين الأقطار العربية، وعن غلبة العناصر المشتركة، وما السمات، الثقافية الخاصة بكل قطر عربى إلا لوينات لتيار ثقافى واحد، وليست إلا ألحاناً متكاملة لسيمفونية واحدة».

إن التواصل الثقافى ترتبط به مجموعة من القضايا الهامة لا بد من تفهمها أولاً وإدراك تأثيراتها القريبة والبعيدة سلباً أو إيجاباً وأن ذلك يعنى:

- تحليل الواقع الثقافى فى الأقطار العربية بعمق وموضوعية.
- الوقوف على الأسس الجوهرية التى أحدثت «الفجوة» القائمة حالياً وأفرزت «الغربة» الثقافية والتباعد

المرير بين الكتاب والمثقفين العرب حتى أن ـ لمجرد الاستشهاد فقط ـ كاتباً قاصاً مثل الدكتور يوسف ادريس صرح فى أحد أحاديثه الأدبية أنه لم يسمع عن كتاب قصة فى القطر العربى السورى ومنهم نصر الدين البحرة، فماذا يكون الأمر عندئذ مع سعيد الجزائرى وفؤاد الشايب مع ما قدموا من إسهامات أدبية جادة!.

وفى مناخ الغُربة الثقافية تبدو تلك الأسماء من أدباء القطر العربى السورى وغيرهم من أسماء أدبية فى أقطار عربية أخرى، تبدو تلك الأسماء كما لو أنها أسماء لكائنات هبطت بالمظلات من كوكب المريخ!!

● تحديد مسئوليات ـ الأدباء العرب ـ قبل الأنظمة، فى اتساع الفجوة الثقافية وتعميق الاغتراب حتى تحولت ملتقياتهم إلى جلسات «للثرثرة» والتراشق بالكلمات ودغدغة العواطف بأرقّ الكلمات وأعذب عبارات المجاملة!!.

وإلّا.. فلنسأل عن النتائج الأدبية الملموسة التى حققتها المؤتمرات والندوات الثقافية ـ على مختلف

مسمياتها ـ وما أسهمت به من دفع للحياة الثقافية وضمان استمرارية تدفق تياراتها في شرايين الجسم العربى على مستوى الجماهير العربية.

● التحديد الشجاع لمسئوليات الأنظمة ـ على اختلاف لافتاتها الايديولوجية ـ والتى أسهمت ـ بنسب متفاوته ـ فى إجهاض الحياة الثقافية، وتفننت ـ فى خبث ـ فى وضع أضخم «المتاريس» وأصلب «البوابات» وأعتى «الحواجز» لتقطع بذلك ما أمرت به العربية أن يوصل من وشائج القربى.

لم تقم النظم العربية وحدها بهذا الدور، وإنما نجحت في أن «تكدس» فى أجهزتها المسماة تجاوزاً بالثقافة بأعداد من الكتاب الذين جرفتهم إغراءات ذهب السلاطين والحكام، فهبطوا من منزلة الكتاب بكل سموها إلى مرتبة الكتبة بكل وضاعتها، وتحولوا إلى مبررين لما ترتكبه النظم من جرائم فى حق الإنسان، وبالتالى خلت معظم الساحة العربية من الكاتب المضىء لتصبح الساحة مرتعاً خصباً لانتهازية الكاتب الصدى،

الصدى للإقليمية والتردى والاستسلام!.

● التقـويم الأمين الشجاع لـواقع ونتـائج هيئـات ومنظمات ثقافية عربية عديدة يفترض أن صميم رسالتها أن تحدث تواصلاً ثقافياً عربياً . ـ أو على أقل تقدير ـ أن ترسم الطريق المحقق لإحداث هذا التواصل، ولا نعنى برسم الطريق التوهم بأن الـدور يتوقف عنـد ترديـد التوصيات عن الاستراتيجية الثقافية والتربوية! وبتكرار الحديث عن أهمية الحاجة إلى تنمية ثقافية!! وإلى المطالبة بإقرار الأقطار العربية لإلزاميـة التعليم ونشر المعرفة العلمية!! ثم سرعان ما ينتهى الأمر قبل أن يجف المداد الذى سطرت به هذه التوصيات ليظل الواقع العربى على حاله إن لم يزدد تردياً! فالمواطن العربى يسمع عن مؤتمرات ودورات يعقدها الوزراء المسئولون عن الشئون الثقافيـة فى الوطن العـربى بلغت أربع دورات، ويسمع عن اجتماعات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ويسمع عن المجلس القومى للثقافة العربية، ويسمع عن مجامع علمية عربية، ويسمع عن

تحاد الكتاب العرب . وعن غيرهم من إتحادات عربية للصحفيين والفنانين التشكيليين والمعلمين والناشرين والمؤرخين! وقد يكون لهذه المنظمات والهيئات العربية أنشطتها لكنها أنشطة محدودة غير معروفة، لا تصل إلى المثقف العادى وليس لها مردودها الثقافى فى الحياة اليومية حيث لا زالت نسبة الأمية الهجائية تتصاعد على مستوى الجماهير العربية، كما تتزايد الأمية الثقافية بين الذين نجوا من الأمية الهجائية!! كما تتسع الغُربة بين المفكرين أنفسهم نتيجة انقطاع مواكبة كل ما هو جديد فى الساحة العربية من فكر وثقافة وفنون!

والنتيجة أن هذا الاغتراب الثقافى سمح للتيار المضاد للثقافة العربية أن يصول ويجول.. وأن ينجح في «بث» سمومه.. وأن يفجر الألغام التى دسها لتدمير العقلية العربية أو تسطيحها في أضعف الأحوال، وتركزت عملياته الهجومية فى الانقضاض الشرس على اللغة العربية تهشيماً تحت مسميات مختلفة من بينها تطوير وتحديث اللغة العربية والنحو العربى، وتمت هذه

الغطاءات بخبث وتشجيع انتشار اللهجات العامية واستخدامها في كتابة معظم صياغات المواد التى تقدم بها برامج الإداعة المرئية والمسموعة والأعمال المسرحية ونصوص المسلسلات وأشرطة الخيالة. بهدف (عزل) المواطن العربى عن أصول اللغة العربية وجماليتها الشاعرة وبالتالى إبعاد أداة الاتصال بين العربى وشقيقه العربى.

وانتشار هذه الظاهرة كما خلصت دراسة الدكتور محى الدين صابر، أدى إلى نتيجة خطيرة هى فقدان الكبرياء الفكرية للأمة العربية، وتشكيك أبنائها في شخصيتهم الحضارية وذاتيتهم الثقافية، وحملهم على احتقار تراثهم، وقام فى ذهن المثقفين العرب تلازم بين مفهوم التخلف الاجتماعى والتقنى وبين الثقافة العربية وفى أساسها «اللسان العربى» وهكذا. .«أوتيت الأمة العربية من مأمنها». وانطبق محدداً على واقع الأمة العربية ما قاله قديماً ابن خلدون بان «المغلوب والمهزوم مولع أبداً بالإقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله».

وافتقاد التواصل الثقافى العربى القائم على اللغة يعنى في أبسط تعريفاته ضياع الهوية لأن «اللغة ليست أكثر أو أقل، أفضل أو أردأ» أذكى أو أغبى ممن يتكلمونها، إنها هى هم جاءوا حروفاً منطوقة ومسموعة ومقروءة ومكتوبة، إن البشر في كل تاريخهم ليسوا إلا لغاتهم جاءوا وقرأوا بأسلوب أكثر وضوحاً وتحديداً وتعريفاً بالذات».

والإنعكاسات المريرة لذلك كما أوضحت دراسة الدكتور عبد الله النفيسى عن «البعد السياسى لقضية اللغة العربية». أن الأمة العربية ما زالت تعانى مشكلتين متلازمتين.

- التخلف
- والتجزئة

ومحصلة التخلف والتجزئة التبعية، واللغة العربية علاج قوى يمكن توظيفه فى معركة التصدى للتخلف والتجزئة، فسيادة اللغة العربية الفصحى على ساحة الوطن العربى تشكل عاملاً جوهرياً فى إعطاء الوحدة الثقافية العربية مضمونها الحضارى، ويعين العرب على

كسر طوق التخلف والتحرر من أنواع التبعيات الثقافية والاقتصادية. والمردودات السلبية لذلك تكمن فى ما يشهده الواقع العربى فى:

□ انتشار الظاهرة التى أسماها الدكتور محى الدين صابر مدير عام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بـ «ظاهرة تهميش اللغة العربية وخلق إتجاه سلبى نحوها وربطها بمظاهر التخلف وطردها من المواقع المتقدمة فى الحياة المعاصرة، حتى لقد أصبح الحراك الاجتماعى للأفراد في المجتمع العربى نفسه مرتبطاً ارتباطاً عضوياً باللغات الأجنبية التى أصبحت هى وحدها مناط المكانة الاجتماعية والدور الاجتماعى، وهذا هو عين التخلف والتبعية.

□ بفقدان التواصل الثقافى لغياب المقوم الأساسى في اللغة والفكر تكريس للاتجاهات الانفصالية وتوسيع لحالات «التقوقع» الإقليمى ومردود ذلك ما يعيشه الوطن العربى من تشرذم وضياع بعد أن كانت الوحدة العربية ملء السمع والبصر، وقاب قوسين أو أدنى من التحقق

فى أكثر من منطقة عربية لسنوات قليلة مضت، إنطفأ الحديث من حولها وأصبح ذكرها يقع فى هامش التاريخ القريب أكثر مما يقع فى فعل الحاضر أو المستقبل.

محاولة متواضعة للإسهام فى طرح قضية التواصل الثقافى العربى نشير بداية إلى أن علاج هذه القضية يتطلب كخطوة أولى تحديد الأسباب التى أدت إليها وبالتالى إحلال النقيض هو ما يحدث مطلب التواصل الثقافى.

عند تتبع جذور المشكلة.. وعناصر تأزمها تتحدد أمامنا ثلاث قوى أو عوامل واضحة أسهمت بنسب متفاوتة في إحداث الانقطاع الثقافى العربى:

- جريمة القوى الاستعمارية فى ضياع الهوية القومية.
- مسئوليات النظم العربية الحاكمة فى تعميق الغُربة الثقافية.
- دور المثقفين العرب في تهميش المقومات الثقافية.

أما عن جريمة القوى الاستعمارية فى إحداث المناخ الذى يضمن ـ على المدى البعيد ـ ضياع الهوية القومية، فقد أدرك الاستعمار أهمية دور اللغة العربية في التقريب الثقافى والنفسى والمصير بين أبناء وطن عربى واحد، فكان على رأس خططه أن يحُول دون نشر اللغة العربية فى الأقطار التى خضعت لسيطرته الاستعمارية، وكانت ولا تزال حربه ضد اللغة العربية الفصحى ومعاهدها ورموزها ورجالاتها لكى يتمكن من تقطيع أوصال الأمة العربية وتجزئتها وعزلها عن دينها الإسلامي بعزلها عن كتابها ودليلها القرآن الكريم وبالتالى تكريس تبعيتها الثقافية والروحية والحضارية والاقتصادية للوطن العربى .

هذه المهمة يفسرها الدور التخريبى ضد اللغة العربية في مناهج التعليم التى كرسها أمثال كرومروكتشنر وجوردون ودنلوب في أقطار عربية مثل مصر والسودان، كما يفسرها الدور التخريبى الذى لا يزال يقوم به مستشرقون أمثال ماسينيون الذى لعب دوراً في السياسة

الاستعمارية الفرنسية ومواقفها العدائية ضد اللغة العربية وإغلاق مدارسها فى أقطار الشمال الأفريقي (تونس، الجزائر، المغرب) قراءة لتقرير اللجنة الوطنية الجزائرية العليا لإصلاح التعليم الذى نشر عام 1980 م تضع أيدينا على أصرخ نموذج للمحاربة الاستعمارية الدؤوب للقضاء على اللغة العربية فى الجزائر فى مخططها الرامى إلى مسخ الشخصية العربية الإسلامية للشعب الجزائرى.

لقد ورد ضمن ما ورد في نص التقرير المشار إليه:

«إن الاستعمار الفرنسي قد عمل منذ البداية على إزاحة اللغة العربية تدريجياً، وبطريقة منظمة عن ميدان التعليم، إلى أن أصبحت اللغة الفرنسية وحدها هى موضوع الدرس وأداته، وكان الاستعمار يرى أن لا سبيل إلى تعليم الجزائريين أى شىء إلا أن ينسوا كل شىء، ومعنى هذا أن المدرسة الفرنسية لا يمكن أن تشق طريقها المرسوم حتى ينسى الجزائريون ثقافتهم الأصيلة، ويرجعواإلى الأمية والجهل».

من هنا وعلى حد ملاحظة الدكتور عبد الله النفيسى ي دراسته المشار إليها عن «البعد السياسى لقضية اللغة لعربية» «ثمة ظاهرة ملفته للنـظر في تاريـخ الجهاد لجزائري، وهى إقتران الكفاح ضد الاحتلال بالعمل على نشر اللغة العربية كمكون رئيسى للشخصية الوطنية لشعب الجزائرى».

فى مواجهة ذلك وإعمالاً لنظرية التحدى والاستجابة كان تأسيس «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» في 5 مـايو 1931 م ضمت علماء الجزائر بقيادة الشيخ عبد الحميد ابن باديس ومهمتها العمل على تحرير الجزائر واتخذت لها الشعار القائل.. «الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا».

ما حدث فى الجزائر حدث في كل الأقطار العربية التى خضعت لقبضة الاستعمار الفرنسي والإنجليزى والفـاشستى الإيطالى وحتى بعـد خروج القـوات الاستعمارية الأجنبية، فإن المخطط الاستعمارى ما زال مستمراً ضد الهوية القومية، بعد أن ضمن المستعمر

وجود ركائز له رغم ارتفاع ما يسمى بأعلام الاستقلال!
ومن هنا تستكمل الأنظمة العربية الحاكمة مواصلة المشوار العدائى ضد اللغة العربية والوقوف ضد كل بادرة تشتم منها النظم العربية الحاكمة رائحة تواصل ثقافى!!
لقناعات هذه الأنظمة بأن الغُربة الثقافية واستمرار تقطع الأوصال هو المناخ الذى تنشده لتشديد قبضتها على الجماهير والتحكم فى مصيرها ومقدراتها لأن هذه النظم على قناعات راسخة بأن الجماهير المُغيبة الجاهلة أسلس قيادة وأسهل طواعية، كما أن هذه النظم على قناعة بأن استمرارها يتمشى ويتعاظم مع استمرارية تواجد حواجز العُزلة بين العربى وأخيه العربى، وللقضاء على أى بصيص من نور الفكر والثقافة، لأن سريان ذلك البصيص يبعث الحركة في الأجسام ويوقظ النيام قبل فوات الأوان!
وللنظم العربية مهارتها في عملية الالتفاف على الثقافة العربية، فهى ليست من الغباء بأن تجاهر بمواقفها العدائية ضد الثقافة، وإنما تتخذ من الممارسات الفعلية ما يضمن استمرارية العزلة الثقافية، فهى أولاً فى كل أجهزتها وقنوات الاتصال الإعلامية من إذاعة مرئية

ومسموعة ودور نشر ونشاط مسرحي وأشرطة خيالة لا تسمح بتقديم إلا كل ما يسهم في عمليات التغييب والتسطيح والتخدير وتتفيه ذوق الجماهير.

ووفق المضامين التى تريدها الأنظمة والتوجهات التى تحرص على غرسها فى العقول من خلال الكم الهائل الردىء من السخافات والتفاهات وإن حملت أسماء مسرحيات أو كتب أو صحف أو برامج وبذلك فإن معظم النظم العربية الحاكمة ـ فى حالة ما إذا تمت لقاءات عربية ـ لا تتخوف من نتائج مثل هذه اللقاءات لقناعات هذه الأنظمة بأن البدايات السطحية التافهة لا تثمر إلاّ كل ما هو سطحى وتافه!

إن نظرة سريعة على ما يمكن أن يطلق عليه البعض تواصل ثقافى ، ويتمثل مظهرياً ـ فى تبادل أشرطة خيالة ومسرحيات ومسلسلات مرئية ومطبوعات، ليست إلاّ جزء من «لعبة» تغييب الجماهير العربية بما يقدّم لها من إنتاج فنى ردىء وقضايا تبعد كل البعد عن الواقع العربى المعاش. . واقع التواصل الممسوخ بنتاجه الردىء.

كما برعت الأنظمة العربية الحاكمة في التستر على حملاتها الهجومية العدائية على الفكر والثقافة العربية لجادة، برعت في طرح مصطلحات «ضبابية» تروج بها عن إدعاء حرصها على نشر الثقافة من هذه المصطلحات مصطلح «الأمن الثقافي» وهي لعبة برعت فى ترويجها النظم العربية الحاكمة كـ «طُعم» سرعان ما ابتلعه كثير من المثقفين.

مصطلح «الأمن الثقافى» وإن رُوج له على أنه يعنى الدفء الثقافى وتهيئة المناخ الملائم الذى ينمو فيه الفكر ويتألق، إلا أن المصطلح فى حقيقة أمره هو توأم لشقيقه مصطلح «الأمن المركزى» وغيره من مصطلحات قمعية التأثير، ثنائية التركيب تبدأ بلفظة «الأمن...» وتلك النظم لا تفرق بين سوط فى يد شرطى وقلم فى يد تابع أمعه يسطر دجلاً على الورق! فالنتيجة فى الحالتين تعنى سحق المواطن، السوط يلهب الظهر والثانى يمحو الذات، ولهيب القلم فى يد جبان أوجع على النفس من ضربات سوط في يد شرطى.

بعد هذا التحديد للقوى المعرقلة للتواصل الثقافى العربى من قوى استعمارية وأنظمة ليس من صالحها تدفق تيار الحياة الثقافية فى شرايين الجسد العربى ، فإن ذمة المثقفين لا تبرأ من نصيبها المحتم في (الاتهام) فتقاعسها وصمتها ورضوخها لكل ما هو واقع أسهم فى استمرارية الانقطاع.

لا تنحصر مهمة المثقفين عند حدود الدعوة والتنظير لأزمة وإشكالية الثقافة فى ندوات وملتقيات عديدة، لأن تلك الأنشطة هى بداية طريق ثقافى طويل وشاق، له معاناته، ويتطلب المزيد من التضحيات التى لا يقبلها من يؤثر السلامة ومن يضعف أمام بريق ذهب أى سلطان!

إنّ ندوات وملتقيات عربية تنادت بدافع نبيل وبواعث لا شك فى صدق التزامها، من هذه المؤتمرات والملتقيات:

● اجتماعات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وما قدمته من توصيات يكفي تنفيذ ربعها لإنقاذ الواقع العربى من أزمته الطاحنة ثقافياً وتعليمياً، وما أوصت به

للتمكين للغة العربية من استيعاب المفاهيم والمحيطات الحضارية المستحدثة، وعن ضرورة التخطيط للتنمية الثقافية من منظور التكامل بين الثقافة والتربية والعلوم، ومطالبتها بزيادة نسبة ما تخصصه الأقطار العربية فى ميزانياتها للتنمية الثقافية.

● مؤتمرات اتحاد الناشرين العرب لبحث المعوقات التى تعترض طريق الكتاب العربى والبحث عن دروب ومسارب الكتاب فى أرض العروبة ما بين الخليج والمحيط.

● ملتقيات منتدى الفكر والحوار بالمغرب التى عقدت ندوتها الخامسة بمدينة الرباط في الفترة من 22 ـ 24 نوفمبر 1984 م تحت عنوان «المجتمع العربي إلى أين؟» قدمت تحليلاتها حول «ما تعانيه الأمة العربية من أزمة عميقة انعكست على مختلف أوجه الحياة العامة فى المجتمع العربى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية مما يجعلنا نشعر بالخطر أكثر من أى وقت مضى». وتأكيد الندوة على.. «بناء الديمقراطية فى

الأقطار العربية كافة كحق طبيعي من حقوق الشعب العربي كي يكون المسئول الفعلي عن واقعه ومستقبله ومصيره، ولا بد أن تتوفر لهذه الديمقراطية مختلف مضامينها وبينها المضمون الثقافي».

ونبهت دراسات الندوة إلى «أخطار التبعية بكافة أشكالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية».. وأنه «ما من قوة في الوطن العربي، فهما بلغ شأنها، قادرة على التصدى لتلك المهام بمفردها». وأكدت حاجة الواقع العربى إلى «تأمين الحوار والنقاش الديمقراطي لكافة المناضلين والمثقفين والقوى الحية فى الوطن العربى».

● مؤتمرات اتحاد الكتاب العرب التى شخصت أزمة الكلمة فى الزمن العربى المتردى، وفى البحث عن ضمانات لحماية من يكتب كلمة صادقة فى زمن أصبحت فيه الكلمة الصادقة ممنوعة من القول والكتابة قبل أن تكون ممنوعة من الصرف.

● ندوة المجالات الثقافية العربية بالكويت التى دعت

ها مجلة العربى بمناسبة «يوبيلها» الفضى فى شهر مارس 1984 وما صدر عن الندوة من «بيان الكويت الثقافى» لذى أكد ضمن ما أكد على أن تطويق الحريات فى معظم مجتمعاتنا العربية هو «أهم» عوامل الأزمة الثقافية الراهنة، ولكن الحرية ليست هبة تقدم إلى المثقفين، وإذا كان ذلك حقاً فهى فى الوقت نفسه واجب ومسئولية، ويقع على عاتق المثقفين دور أساسى فى التحول إلى الإيجابية، وفى عدم خضوع مسئولياتهم الفكرية لمسئوليات أخرى، وفي السعى الجاد الحازم لنيل الحرية التى يطلبون.

● اجتماعات المجلس القومى للثقافة العربية فى تونس فى شهر ابريل عام 1982 م «مؤتمر مواجهة الغزو الثقافي الامبريالى الصهيونى» تم اجتماعات المجلس بمدينة الرباط المغربية فى الفترة من 19 - 24 نوفمبر 1984 م بشأن برنامج خطة. التحرك للمجلس القومى للثقافة العربية وتشكيل شعبه المختلفة.

هذه الملتقيات الثقافية العربية التى تشكل بدايات

جادة فى تشخيص أسباب الغُربة الثقافية، لكن هذه البدايات تتطلب كل الجهد للحفاظ على الهوية ولكى تتجاوز هذه الملتقيات الاتهامات التى تقول بأن «الفكر العربى ما زالت تستهويه المناظرة النظرية للبحث عن طريق واحد: إما عصرى أو تراثى، ولا رابط بينهما».

كذلك الخروج من إشكالية الهوية فى المنطقة العربية باعتبار «أن قضية الهوية هى التى تحدد انتماء الفرد للجماعة وولاءه لها، وإشكالية الهوية فى المنطقة العربية لم تنشأ من فراغ بل كانت محصلة لتطورات تاريخية واجتماعية شهدتها المنطقة، وإشكالية الهوية قضية مثارة لم تحسم بعد، ويبدو أن التطورات الراهنة التى تشهدها الساحة العربية تعمق إشكالية الهوية وتزيد من تعقيداتها».

هذه الإتهامات توجه بسبب سلبية نتائج الملتقيات الثقافية حيث تطرح نفس الموضوع بنفس النقاش وتنتهى بنفس التساؤلات، ثم بصدور بيانات ختامية تكاد تكون بنفس كلمات البيانات الختامية السابقة، وتظل حالتنا

العربية يدمغها كلمات مثل «إن العرب أكثر البلدان استهلاكاً» للأسماء وتفريغاً لها من محتواها، وخلط حابلها بنابلها». وحيث نخرج بألقاب نوزعها كيفما نشاء دون وازع أو رادع، حتى لا تعود الكلمة تعنى معناها لكثرة ما تداخل فيها من تبسيط وتعميم».

ثم يصير فى واقعنا ما هو أشد من ذلك ألماً. . أن يصير التاريخ كذبة كبيرة على أيدى شهود الزور. . من بعض المثقفين فى ضوء كل تلك الحقائق والمؤشرات تبرز أهمية قضية التواصل الثقافى. . ليست فى النطاق الضيق الذى يفهمه بعض الناس على أنه فقط مجرد تبادل كلمات واتفاقات محدودة لتبادل فرق مسرحية وفي عقد ندوات ثقافية، فمع أهمية تلك الأنشطة إلا أن قضية التواصل الثقافى - فى حجمها الحقيقى - هى قضية انتماء. . قضية مصير قومى. . وهى فوق الهدف التنموى للثقافة لها هدف أسمى لا يجوز أن نغفله. . هو ما عبرت عنه كتابات الدكتور عبد الله عبد الدائم فى كتابه «فى سبيل ثقافة عربية ذاتية» لـ «تنمية الإنسان بوصفه إنساناً

فالهدف النهائى لأى تنمية هو الإنسان، سعادته وكرامته وتفتحه الإنسانى بغير ما حد، ومن هنا فالتنمية الثقافية ليست شرطاً للتنمية عامة فحسب ، بل هو أيضاً غاية التنمية».

كذلك فإن الثقافة العربية تشكل مقوماً أساسياً من مقومات الشخصية العربية وعنصر أساسى كذلك فى وحدة الوطن العربى.

فى ضوء كل تلك المعطيات نتساءل: هل نبدأ وقبل فوات الأوان، فى إعطاء قضية التواصل الثقافى العربى ما تستحقه من اهتمام باعتبارها قضية مصير وإنتماء؟ وهل تجد هذه الدعوة بفتح ملفات هذه القضية الاستجابة الواعية والملتزمة من قبل كل من يؤرقهم استمرار حالةالغُربة والانقطاع الثقافى؟

هل نبدأ الخطوة الأولى والصحيحة فى المشوار الثقافى القومى بكل الإرادة والثقة والتصميم.

المراجع

. كتاب «فى سبيل ثقافة عربية ذاتية» الدكتور عبد الله عبد الدائم الناشر دار الآداب ـ بيروت .

ـ مقال «البعد السياسى لقضية اللغة العربية» بقلم الدكتور عبد الله النفيسى مجلة المستقبل العربى أكتوبر 1984.

ـ كتاب «العرب ظاهرة صوتيه» الدكتور عبد الله النفيسى .

ـ مقال «الوحدة العربية ـ ذلك الموضوع الحاضر الغائب ـ لم الدكتور محمد الرميحى . مجلة العربى العدد 312 نوفمبر 198 .

5ـ مقال «البعد السياسى لقضية اللغة العربية» الدكتور عبد الله النفيسى.
6 ـ تقرير اللجنة الوطنية الجزائرية العليا لإصلاح التعليم الجزائر ـ ابريل 1980 م.
7 ـ كتاب «مجتمع جديد أو الكارثة» بقلم الدكتور زكى نجيب محمود الناشر: دار الشروق/ بيروت.
8 ـ توصيات الدورة الرابعة لمؤتمر الوزراء المسئولين عن الشئون الثقافية فى الوطن العربى.
الجزائر ! ـ 9 مايو 1983.
9ـ بيان الكويت الثقافى الصادر عقب ندوة المجلات العربية الكويت مارس 1984 م.
10ـ نص البيان الختامى الصادر عن الندوة العربية الخامسة لمنتدى الفكر والحوار المغرب 22-24 نوفمبر 1984 م.
11 ـ مقال «مهام التوافق بين الأصالة والمعاصرة»
بقلم الدكتور محمد الرميحى
مجلة العربى الكويت عدد 313 شهر ديسمبر 1984 م.
12 ـ مقال «إشكالية الهوية فى المنطقة العربية» بقلم حسنين توفيق مجلة العربى ـ الكويت عدد ديسمبر 1984 .

13 ـ مقال «هل عندكم قارىء كفؤ يقرأ لنا خريطة العالم العربى بعد عشر سنوات؟» بقلم أحمد بهاء الدين.
مجلة المستقبل عدد 23 نوفمبر 1984 .

14 ـ كتاب «إشارات على الطريق ونقاط ضوء».
بقلم بلند الحيدرى الناشر: المؤسسة العربية للدراسات/بيروت.

15ـ مقال «إشكالية الأصالة والمعاصرة في الفكر العربى الحديث والمعاصر» بقلم الدكتور محمد عابد الجابرى مجلة المستقبل العدد 69 نوفمبر 1984 م.

٢

أمريكا.. واستراتيجية الاحتواء الثقافى

موقف أمريكا الأخير من منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة المعروفة اختصاراً بـ «اليونسكو» الذى تمثل فى قرار الانسحاب من عضوية المنظمة. هذا الموقف العدائى يجىء تصعيداً لسلسلة مواقف عدائية سابقة تمثلت فى:

● حملات إعلامية مركزة للتنديد بنشاط اليونسكو وتلفيق الاتهامات لها.

● تحركات أمريكية سابقة استهدفت محاولة التأثير

على المنظمة، ونشير فى هذا الصدد إلى القرار الأمريكى عام 1974 بوقف تسديد حصة أمريكا فى ميزانية المنظمة احتجاجاً أمريكياً على موافقة منظمة اليونسكو على إدانة الكيان الصهيوني لممارساته التوسعية بمدينة القدس وتبديد آثارها التاريخية وتنفيذ مخططات تهويد هذه المدينة المقدسة.

وخطاب جورج شولتز وزير الخارجية الأمريكية بتاريخ 28 ديسمبر 1983إلى أحمد مختار امبو مدير عام منظمة اليونسكو المتضمن التهديد بانسحاب أمريكا من عضوية المنظمة لم يأت من فراغ بل إرتكز، كما تشير كل الشواهد على العناصر التالية:

● تتبع أمريكى دقيق لنشاط المنظمة وتوجهاتها وإدراك الإدارة الأمريكية أن أنشطة اليونسكو، بتعددها وتشعبها لا تخدم مخطط الهيمنة الأمريكية.

● شعور أمريكى بالعجز من احتواء أمريكا لمنظمة اليونسكو، خاصة أن الهيكل التنظيمى لليونسكو (المؤتمر العام، المجلس التنفيذى، الأمانة العامة) لا

يسمح بإحكام القبضة الأمريكية على توجهات وأنشطة المنظمة.

هذه الدراسة محاول تحليلية لهذه القضايا، لأنّ توضيحها يفسّر بواعث ومحركات العداء الأمريكى ضد منظمة اليونسكو، كما يفسّر بالتالى أسباب إتخاذ أمريكا لقرار الإنسحاب من العضوية.

كما أن الإجابة تضع القرار الأمريكى الاستفزازى فى حجمه الحقيقى وغاياته المستهدفة كتحدٍ سافر لشعوب العالم والتنكر الصارخ لكل القيم والأعراف الدولية.

فالقرار الأمريكى لا يستهدف مجرد انسحاب دولة كبرى من منظمة ثقافية دولية بل التأثير على أنشطة اليونسكو بعد التوقف عن دفع حصة الولايات المتحدة الأمريكية فى ميزانية هذه المنظمة.

الغريب أنّ كثيراً من الكتابات التى جاءت كردود فعل للقرار الأمريكى ركّزت وبسذاجة على إبراز هذا الجانب المادى وأغفلت ما يمثله هذا الموقف من عداء أمريكى لشعوب العالم والاستهتار الواضح بكل القيم الثقافية

والحضارية، بل إنّ كثيراً من المنظمات الدولية والمؤتمرات العالمية «ناشدت» الإدارة الأمريكية العدول عن قرار الإنسحاب على النحو الذى فعله مؤتمر القمة الإسلامية الرابع في الرباط فى يناير 1984 .

ونبعت هذه المناشدة «من فرضية خاطئة ترى أن الإنسحاب الأمريكى إلى جانب أنّه يعنى اختلال ميزانية اليونسكو، فإنّه من وجهة نظرهم يحدث أيضاً تصدعاً واسعاً فى عالمية المنظمة وقدراتها وإدانة لها، وفاتحة لمزيد من الإنسحاب، وإنذاراً للمنظمات الدولية الأخرى، وإصابة مباشرة فى حصن الفكر بصاروخ سياسى أمريكى(١).

بينما ينبغى أن يوضح الموقف الأمريكى فى مكانه الصحيح كتحدٍّ ضد الشعوب، و«توهم» أمريكى بتخريب منظمة اليونسكو بنياناً ونشاطاً لأنها لم تصدع لما تأمر به الإدارة الأمريكية، بل زادت المنظمة على ذلك الرفض باتخاذ مواقف وممارسات ـ عبر أنشطتها الدولية ـ مغايرة بل مناقضة لثوابت السياسة الامبريالية الأمريكية

فالامبريالية الأمريكية ضد كل هيئة أو منظمة أو دولة تتخذ قرارات إدانة ضد الكيان الصهيونى، ناهيك عن اتخاذ مواقف رادعة، والمتتبع لنشاط منظمة اليونسكو يلمس الكم المعقول المؤثر، ولا نقول الكم الكثير، من إدانة بعض ممارسات الكيان الصهيونى خاصة بالنسبة للموقف من مدينة القدس.

والامبريالية الأمريكية ضد كل من يتخذ مواقف إدانة ضد نظام بريتوريا العنصرى فى جنوب أفريقيا، ولليونسكو العديد من المواقف التى لا ترضى الإدارة الأمريكية ضد أى تحرك من هيئة أو منظمة دولية أو إقليمية أو وطنية لنصرة قضية الحرية أو دعم وتعزيز حقوق الإنسان أو العمل الدولى من أجل الرخاء.

وقد لمست أمريكا كماً من نشاط اليونسكو لا يرضى الإدارة الأمريكية لأن محوره استهدف التوصل إلى إيجاد صيغ ملائمة لإرساء نظام عالمى عادل وجديد، نظام عالمى جديد فى مجال الاقتصاد والعلاقات الدولية، نظام جديد فى الإعلام ومجالات الاتصال.

والامبريالية الأمريكية ضد كل تحرك حتى ولو كان تحت أعلام الأمم المتحدة لأن الإدارة الأمريكية ترى فى هذا التحرك (استغناء) عن وصايتها؛ وتحرراً من قبضة التحكم الأمريكى! كما أنه يعنى وفى المقام الأول أنه بات فى مقدور شعوب العالم أن تعتمد على نفسها، وأن تستكمل هذا الاعتماد بالتعاون البناء القائم على تبادل المصالح وعلى أسس الاحترام المتبادل بين دول العالم.

من هنا أصبحت منظمة اليونسكو، بكل قطاعاتها المتخصصة، تغطى أنشطة إنسانية متعددة فى مجالات التربية والعلوم الطبيعية والاجتماعية والثقافية والاتصال والبحث عن المعادن وحماية البيئة.. وغطت أنشطتها ميادين علوم البيئة ومحو الأمية والتنمية وتمويل الكثير من المشروعات التربوية وحماية الآثار التاريخية والطبيعية وإصدار الوحدة النقدية لليونسكو «أوتوم»[2] فأنشطة منظمة اليونسكو تتسع لتشمل رقعة العالم من جاوه حيث الإسهام فى إنقاذ المعبد البوذى فى البروبودور إلى الإسهام فى إنقاذ معبد أبو سمبل فى النوبه وجزيرة فيله فى نهر النيل بمصر.

من أبرز أنشطة اليونسكو الإسهام فى إنقاذ التراث العالمى وتوقيع «إتفاقية التراث العالمى» عام 1972 م لحماية التراث الثقافى وحماية التراث الطبيعى وإثارة مزيد من الوعى لدى جميع الشعوب بقيمة هذا التراث وحمايته، وخصصت صندوق التراث العالمى لهذا الغرض[3].

كل هذه الأنشطة تسعى بها منظمة اليونسكو إلى تحقيق الغايات التى دفعت إلى تنادى شعوب العالم إلى تأسيس المنظمة عقب مؤتمر دولى عقد فى شهر فبراير عام 1945 م إدراكاً واعياً من الشعوب بـ «أهمية الثقافة والعلوم والتربية في خلق مناخ مناسب للنهوض بمستوى شعوب العالم المختلفة وهو ما يؤدى بالتالى إلى توفير ظروف مواتية لتحسين العلاقات الدولية والحفاظ على الأمن الدولى».

ومن ناحية أخرى كان من اللازم توجيه الجهود والبحوث العلمية لخدمة أغراض السلام واتباع أساليب للتربية من شأنها خلق رأى عام ينبذ الحروب، وتطوير

الضمان الإنسانى لما فيه خير البشرية جمعاء على أساس من احترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية[4].

ونجحت شعوب العالم فى تشكيل هذه المنظمة الثقافية الدولية ووضع الميثاق التأسيسى الذى حدد هدفها وغايات نشاطها وبواعث تحركها، وفى الوقت نفسه يفسر تخوف وعداء أمريكا إزاء استمرارية قيام مثل هذه المنظمات الثقافية الحضارية فميثاق منظمة اليونسكو ينص على :

«إن حكومات الدول الأطراف فى هذا الميثاق التأسيسى تعلن باسم شعوبها أنه لما كانت الحروب تتولد فى عقول البشر ففى عقولهم يجب أن تُبنى حصون السلام.

ولما كان جهل الشعوب بعضها ببعض مصدر الريبة والشك بين الأمم على مر التاريخ وبسبب تحول خلافاتها إلى حروب فى كثير من الأحيان».

«ولما كانت الحرب العظمى المروعة التى انتهت مؤخراً قد نشبت بسبب التنكر للمثل العليا الديمقراطية

التى تنادى بالكرامة والمساواة والاحترام للذات الإنسانية، ويسبب العزم على إحلال مذهب عدم المساواة بين الأجناس محل هذه المثل العليا عن طريق الجهل والإنحياز.

ولما كانت كرامة الإنسان تقتضى نشر الثقافة، وتنشئة الناس جميعاً على مبادىء العدالة والحرية والسلام، كان هذا العمل بالنسبة لجميع الأمم واجباً مقدساً ينبغى القيام به فى روح من التعاون المتبادل»[5].

المتتبع لمراحل المواقف الأمريكية العدائية ضد منظمة اليونسكو يلمس بوضوح أن الإدارة الأمريكية اتخذت ثلاثة اتجاهات فى مخططها ضد منظمة اليونسكو:

- اتجاه احتواء أنشطة المنظمة
- اتجاه زعزعة كيان المنظمة
- اتجاه تشويه مواقف وتوجهات منظمة اليونسكو.

وعندما عجزت الإدارة الأمريكية عن تحقيق مطامعها بدأت ـ وعلناً ـ تنفيذ عمليات تخريب منظمة اليونسكو.

أما عن إتجاه أمريكا لاحتواء أنشطة اليونسكو فقد فشلت فيه أمريكا لأن تكوين المنظمة وظروف نشأتها وطبيعة بنيتها التنظيمية لا تسمح باحتواء أمريكى لها، حيث إن منظمة اليونسكو كمنظمة دولية تختلف عن نظام هيئة الأمم المتحدة، فهى تضم حالياً 161 عضواً لكل دولة صوت واحد، وغالبية الأعضاء من بلدان العالم الثالث بعد أن كانت عضوية المنظمة منذ بداية تشكيلها تضم إلى جانب أمريكا غالبية الدول الغربية، وبالتالى ونتيجة للمد الثورى التحررى وانتصارات الستينات والسبعينات فقد «تحولت البرامج الداخلية والعامة لليونسكو باتجاه خدمة هذه الأغلبية الجديدة»[6].

وكما أوضح الدكتور محمد الرميحى فى دراسته «قضية اليونسكو والحدود الفاصلة بين الثقافة والسياسة» أنه نتيجة لهذه المتغيرات أصبح لدول العالم الثالث الصوت الأعلى، وكان بالتالى طبيعياً أن يتجه المؤتمر العام لليونسكو إلى تكريس هذه المصالح كما يراها فى برامج محددة. «وحيث كانت اليونسكو طوع بنان المؤسسين

وأغلبيتهم ـ فى سنواتها الأولى ـ من الدول الغربية أو الدول التى تسيطر عليها السياسات والمصالح الغربية، ويتحول الميزان العالمى نتيجة دخول دول عديدة من العالم الثالث فى الساحة الدولية وبناء على تطبيق قاعدة «صوت واحد للدولة الواحدة» كان لا بد من تغيير هذه المصالح ـ فأصبحت معظم الأصوات فى اليونسكو تمثل المصالح الجديدة»[7].

ودفاعاً عن قيم الكرامة والمواساة والاحترام للذات الإنسانية وعليه صاغت السطور الأولى للميثاق التأسيسى للمنظمة.

«لما كانت كرامة الإنسان تقتضى نشر الثقافة وتنشئة الناس جميعاً على مبادىء العدالة والحرية والسلام.

كان هذا العمل (تأسيس منظمة اليونسكو بالنسبة لجميع الأمم) واجباً مقدساً ينبغى القيام به فى روح من التعاون المتبادل».

إن أمريكا بقرارها ضد اليونسكو ـ مع غيره من مواقف عدائية ضد الشعوب ـ تريد أن تُحطم كل أمل في

مستقبل إنسانى سعيد، وتريد أن تواصل زرع العالم بالدمار، وأن تحرق كل ما شيدته البشرية من نهضة وعمران وتنمية وحضارة.

من هنا فإنه ليس بالأمر الغريب أن يكون مسلك الامبريالية الأمريكية من منظمة اليونسكو على النحو الذى اتخذته، فأمريكا زعيمة الإرهاب وهى مصدرة أدوات القمع والعدوان لا يمكن أن تقف مكتوفة الأيدى إزاء منظمة ثقافية تقول أول كلمات ميثاقها بلسان شعوب العالم، تعبيراً عن التزامها. . «لما كانت الحروب تتولد فى عقول البشر، ففى عقولهم يجب أن تبنى حصون السلام».

إن أمريكا لا تريد السلام بل تريد العدوان، وتريد قيادة العالم في مؤامرة الصعود إلى الهاوية، والمؤامرة بكل تحدياتها تنتظر ردعاً عالمياً حاسماً، فهل تتحرك شعوب العالم لمواجهة التحدى بالتحدى ورد الصاع صاعين.

مراجع الدراسة

1 ـ مقال «عاصفة على اليونسكو» بقلم الدكتور عبد العزيز كامل مجلة العربى / الكويت عدد شهر يونيو 1984 م.

2 ـ كتيب «اليونسكو. . ما هى؟ ماذا تفعل؟ وكيف تعمل؟» من مطبوعات منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة باريس.

3 ـ كتيب «إتفاقية التراث العالمى» مطبوعات أمانة لجنة التراث العالمى اليونسكو ـ باريس.

4 ـ كتاب «التنظيم الدولى» تأليف د. محمد السعيد الدقاق الناشر: الدار الجامعية للنشر ـ بيروت الطبعة الثالثة ـ 1983 م.

5 ـ نص الميثاق التأسيسى لمنظمة اليونسكو.

6ـ مقال «قضية اليونسكو والحدود الفاصلة بين الثقافة والسياسة» بقلم د. محمد الرميحى .
مجلة العربى ـ الكويت عدد شهر ابريل 1984 م .

7ـ المرجع السابق نفسه .

ج

في بيتنا فيديو

الفيديو . . أداة تثقيف أم وسيلة تغييب؟

جهاز التسجيل المرئى أو «الفيديو» اقتحم البيت العربى، كما اقتحم بيوتاً لا حصر لها فى بلدان العالم خاصة بلدان العالم الثالث، حتى أصبح اقتناء جهاز «فيديو» يتصدر طموحات إنسان العالم الثالث ويسبق كثيراً من أساسيات الحياة اليومية العصرية.

أن الفيديو يقتحم البيوت العربية بيتاً إثر بيت!!

هذا ما تقوله أرقام مبيعات الشركات اليابانية المتخصصة فى صناعة هذا الجهاز وتصدره بالملايين إلى الأقطار العربية حتى أصبح فى كثير من الأقطار النفطية

الخليجية «فيديو» لكل غرفة وليس فقط فيديو فى كل بيت!! وهذا ما تقوله إحصائيات إدارات الجمارك فى الموانىء والمطارات بالأقطار العربية الموفدة للعمال (مصر، السودان، سوريا، اليمن، الأردن، تونس.. الخ) فغالبية حصيلة تلك الإدارات مما يتم تحصيله رسمياً عن أجهزة الفيديو سنوياً وهى كميات تصل إلى مئات الآلاف فى صحبة المسافرين كل صيف.

هذا المقال ليس دعوة انغلاق ومخاصمة واتخاذ موقف من إبداعات التقنية وثمراتها. فالدعوة إلى ذلك غير مقبولة فضلاً عن أنها غير مطروحة، وإلا لحقتها دعوات بمقاطعة شاملة لإستخدام الطائرات والسيارات والبواخر!! وإلى عدم اقتناء أية أجهزة كهربائية منزلية!! تحت زعم أن لتلك الوسائل والأدوات بعض ضحايا سوء استخدامها.

إنما المقال دعوة إلى حسن الاستثمار لما يضفى على الحياة البهجة والمتعة للاستمتاع الهادف بكل ما سخره الله للإنسان وَوَفّقَ العقل إلى الوصول إليه.

ولجهاز التسجيل المرئى «الفيديو» - كما فى غيره - تأثيرات سلباً أو إيجاباً، تتوقف على كيفية التعامل معه وعلى طريقة استخدامه وعلى أسلوب توظيفه واستثماره، فهو لا يفكر ولا يستوعب المواد التى «يبثها»، ولا يعى مضمون الأشرطة التى تلقى فى أعماق جوفه!! بل دوره الوحيد أن يتحرك عندما يضغط صاحبه على مفتاح التشغيل أو يسترجع أو يتوقف كيفما أراد له صاحب الجهاز.

من هنا يصبح الحوار حول كيفية استثمار هذا الضيف، كيف يمكن تطويعه لخدمة قضايا الإنسان؟ كيف يصبح عاملٍ تثقيف لا وسيلة تسطيح؟ كيف يقرب بين الشعوب بدلاً من أن يصبح وسيلة لتغييب وتخدير الشعوب بما تنتجه الكثير من الشركات التجارية من أشرطة هابطة ذات مضامين تخريبية.

إن هذا الجهاز وتأثيراته وأخطاره، خاصة على شعوب البلدان النامية ينبغي أن يكون موضوع حلقات بحث وندوات متخصصة جادة باستضافة ومشاركة من

المنظمات والأجهزة والمراكز الثقافية والتربوية والإعلامية ذات العلاقة، فحتى كتابة هذه السطور لم نسمع عن إقامة ندوة دولية أو عربية لهذا الغرض تُنظم من قبل منظمات معينة مثل المنظمة الدولية للثقافة والعلوم والتربية (اليونسكو) ولا من المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة (اليكسو) ولا من اتحاد معاهد الإعلام العربية، ولا من جامعة الأقطار العربية.

الشىء الملفت للنظر والحيرة معاً أنه فى ظل هذا الصمت إزاء ما يهدد الأجيال العربية نتيجة الغزو الفكرى وأداته «الفيديو» نجد إهتمام الصحف العربية ومراكز الأبحاث الأمريكية بهذه القضية اهتماماً يثير الدهشة... على سبيل المثال نجد مجلة «تايم» ومن قبلها مجلة «نيوز ويك» تخصص بعض أعدادها لتناول ظاهرة ما أسمته بـ «ثورة الفيديو فى عالم اليوم» وتفرد مقالات ملفاتها لدراسات مستفيضة عن الفيديو وتأثيراته تخوفاً على أبناء الغرب، ووضعاً لضوابط تحد من أخطاره، ودعمت حملاتها على «الفيديو» بنتائج دراسات ميدانية كشفت

الشىء الكثير عن العلاقة العضوية المتفاعلة بين أشرطة «الفيديو» وبين انتشار الجريمة والفساد والانحراف.

أما مراكز الأبحاث الأمريكية الإعلامية فقد أولت الاهتمام بتأثيرات الفيديو على جماهير البلدان النامية على وجه الخصوص، وقدمت هذه المراكز مقترحاتها إلى الإدارة الأمريكية كى تركز على إنتاج المزيد من البرامج والأشرطة والمسلسلات التى توجه وتصدر خصيصاً لشعوب بلدان العالم الثالث مستهدفة تسطيح المفاهيم وتشويه الحقائق وتزييف التاريخ والإساءة إلى نضال الشعوب، إلى جانب التركيز على زرع التوجهات والسلوك وفق النمط الأمريكى وتقديم أمريكا وشعبها وحياتها على أنه النموذج الإنسانى الوحيد الذى ينبغى أن يحتذى!!.

والامبريالية الأمريكية لم تقرأ تقارير تلك المراكز وانتهى الأمر، إنما كانت القراءة هى البداية تبعها ترجمة سطورها إلى شركات إنتاج ضخمة، وإلى تكوين مجموعة عمل لها ارتباطاتها بالأجهزة الأمريكية خاصة

وكـالة المخـابرات المـركزيـة الأمريكيـة، واعتمـدت الميزانيات الضخمة واستقطاب ألمع «مشاهيـر نجوم هوليوود»!!.

و.. وكان تدفق أشرطة «الفيديو» إلى بلدان العالم الثالث ـ ومنها أشرطة محظـور تداولها داخل الولايات المتحدة الأمريكية كي تسهم تلك الأشرطة مع غيرها من أقنعة الاستعمار الأمريكى (الإذاعة الأمريكية، الجامعات والمكتبات الأمريكية، مراكز الاستعلامات الأمريكية، ما تسمى بجمعيات الصداقـة الأمريكيـة وأندية الشرق الأوسط، المنظمة الحرة للثقافة، ومجلة حوار... الخ) وكلهـا أجهزة ـ سـافرة ومقنعـة ـ تخـدم المخـططات الأمريكية وتوجهاتها فى الاستلاب والهيمنة على مقدرات الشعوب وترى الإدارة الأمريكية أن هذه الوسائل مكملة لسياسة نشر القواعـد وأنها تخـدم بفاعليـة المخطط الامبريالي الأمريكى، وفي هذا الصدد نشير إلى ما قاله «لايف أود» مؤلف كتاب «غزو العقول أو جهاز التصدير الثقافي الأمريكى «وأورد فيه بالنص..

«إن الولايات المتحـدة الأمريكيـة إذ تراهن على أقمارها الصناعية، وعلى معـارفها للمعطيات، وعلى نظامها التعليمي والالكتروني، وعلي جهازها الثقافي المتلاحم والمتعدد الأشكال في آن معاً، فإنما تبرهن أنها عاقدة العزم على إعطاء هيمنتها، ومختصر الكلام أنها تـولى أهمية متعـاظمة بـاستمرار للمسـارات الثقافيـة والايديولوجية داخل المجتمعات التابعة، وتعتبر نفسها قادرة على توجيهها حسب رغبتها بفضل الوسائل المادية الجديدة المتاحة لها في هذا المجال».

ولا نذهب بعيداً فـإن «كارل روان» الـذى شغل لسنـوات منصب مدير الوكالة الأمريكية للإعلام يعترف فى تقرير بعنوان «الشئون الثقافية والعلاقات الخارجية بقوله:

«إننا ننشر ثقافة الولايات المتحدة الأمريكية نساعد على تحقيق أهداف السياسة الخارجية للولايات المتحـدة الأمريكية فليس لنا من مهمة أخرى».

وتلك التـوجهات هى مضمـون النظريـة العدائيـة

للشعوب التى تطبقها الامبريالية الأمريكية، نظرية «البعد الرابع» أى التغلغل الثقافى إلى جنب ثلاثى التسلل «الدبلوماسى والاقتصادى والعسكرى». من الدراسات العربية القيمة التى سلطت أضواء الحقيقة على أخطار الغزو الفكرى الأمريكى، دراسة الدكتور سامى منصور التى صدرت فى كتاب «أقنعة الاستعمار الأمريكى» وكتاب السينمائى كامل التلمسانى . . . «سفير أمريكا بالألوان. «يعنى بالسفير أشرطة الخيالة الأمريكية».

ذلك ما جرى ويجرى فى الغرب وفى أمريكا من اهتمامات بالفيديو والبرامج المرئية وإنتاج كل ما يسهم فى تغييب إنسان العالم الثالث كى لا يصحو هذا الإنسان من واقع القهر الذى يعيشه!! وكى تستمر فى نفس الوقت عمليات نهب وامتصاص ثـروات تلك البلدان تحت غطاءات عديـدة مخادعـة ترمى إلى تكـريس تزييف الوعى!! يساعد في هذه الجريمة ما ترتكبه كثير من النظم الحاكمة في بلدان العالم الثالث فتلتقى فى الغاية مع المخطط الأمريكى الغـربى حيث تستخدم السلطات

القمعية فى تلك البلدان الإذاعة المرئية، في خلق جو وهمى يعيش فيه الناس، وكأنهم يتعاطون المخدرات «مما يبعدهم عن الإدراك الصحيح لمشاكلهم والتبعات التى تجب عليهم للخروج من هذه المشاكل، أى إستخدامه كسلاح لعزل» الناس عن العالم وحقائق الحياة لايصالهم إليها، كما استخدمت الإذاعة المرئية فى فرض المزيد من السلطة وتنفيذإرادتها بدلاً من أن تحمل للناس المزيد من فرص المشاركة فى المسئولية «بل لقد استخدمت الإذاعات المرئية أساساً للتسلية، وحتى التسلية التى كانت تهبط إلى المستوى الأقل وليس للتسلية التى ترتفع بهذا المستوى».

وبعد انتشار أجهزة الإذاعة المرئية ودخولها كل مدينة وقرية عربية حتى مدن الصفيح والأكواخ تعلوها غابات الهوائيات وبعد تسلل أجهزة «الفيديو» إلى الكثير من منازل بلدان العالم الثالث، والوطن العربي جزء من هذا العالم.

تصبح أخطار الفيديو مضاعفة، ويصبح تناول قضاياه

المتعددة ـ بجدية وعمق ـ من القضايا الهامة التى لها مردوداتها الضاغطة على الهوية القومية.

وهذا يحتم على المنظمات والمراكز والهيئات ذات العلاقة ـ على المستوى القومى ـ أن ترصد لهذه الظاهرة، أبحاثاً نظرية وما تتطلبه من دراسات ميدانية تشمل كل شبر عربى يتعرض للغزو الثقافى الأجنبى، وتلك هى مهمة منظمات ومراكز علمية عربية ـ منفردة أو متعاونة ـ من هذه المنظمات والمراكز: المنظمة العربية للثقافة والعلوم والتربية (الجامعة العربية)، المجلس القومى للثقافة العربية (مؤتمر الشعب العربى) معهد الإنماء العربى (الهيئة القومية للبحث العلمى بالجماهيرية) ومعاهد ومراكز الدراسات الإعلامية وإتحاد معاهد الإعلام العربية واتحاد الإذاعات ووكالات الأنباء العربية، وغير ذلك من هيئات ومراكز معنية بشئون البحث العلمى ودراسات الرأى العام والأبحاث الاستراتيجية.

واهتمام هذه الهيئات والمنظمات بهذا الموضوع

ينبغى أن يتناول العديـد من القضايـا ذات الارتباط والتأثير، فجهاز الفيديو ـ على سبيل الاستشهاد ـ لا يعمل منفرداً، إنما تحركه يرتبط بتشغيل توأمه جهاز الإذاعة المرئية، فما الفيديو إلا «جهاز تسجيل مرئى» ومن هنا يبرز إرتباط الفيديو بالمرئية وما يبثه جهاز الإذاعة المرئية، وكثير من أصحاب أجهزة «الفيديو» يقومون بتسجيل ما تقدمه الإذاعات المرئية كى يعيدوا «بثه» من الفيديو فى استرخاء ـ مرات ومرات!! وبذلك يقوم البث المرئى بمهمة شركات انتاج أشرطة «الفيديو» فيقدم للمشاهـد ـ فى عقر داره ـ ما يسجله فى يسر وتخدير!!

إن جهاز الإذاعة المرئية وتوأمه «الفيديو» واقتحامهما معظم البيوت العربية يتطلب الاستثمار الأمثـل لهذه الأجهزة وفى الاتجاه السليم وأهمية هذه الأجهزة ودورها المؤثر يكمنان فى:

● انتشار أجهزة الفيديو والأجهزة المرئية فى أرجاء الوطن العربى حتى لا تكاد تخلو منهما غرفة فى بيت عربى!

وعلى حد وصف أحد الكتاب العرب. . «إن أفقر حكومة ما تكاد تحصل على استقلالها إلاّ وتبدأ بإقامة محطة إرسال مرئى». وبالطبع ليس لاستخدامها فى مجال محو الأمية ونشر العادات الصحية والتدريب وممارسة المهن ورفع مستوى الذوق العام.

● إن الإنسان العربى ـ ومعه إنسان العالم الثالث ـ أكثر من أى إنسان فى العالم يقضى أطول وقت فى «البحلقة» أمام جهاز الإذاعة المرئية وأجهزة التسجيل المرئى «الفيديو» ولا نود أن نشير تفصيلياً ـ إلى كل نتائج دراسة ميدانية فى أحد الأقطار العربية النفطية، كان من بين الأسئلة «كم شريطا تشاهد فى جهاز التسجيل المرئى «الفيديو»؟ فكان المتوسط فى الإجابة «من شريطين إلى ثلاثة أشرطة ليس فى الأسبوع الواحد بل فى اليوم الواحد!! أى أن معدل ساعات المشاهدة للمواطن العربى «ست ساعات» ومعنى هذا أن هذه الأجهزة ـ لو أحسن استخدامها ـ تلعب دوراً تثقيفياً واجتماعياً وتربوياً هاماً، تعطى فيها «اساسيات» بناءة وهادفة للمشاهد العربى الذى يبقى جالساً أمامها على امتداد ساعات قد

تصل فى اليوم الواحد إلى عدد أصابع اليدين لا اليد الواحدة!

● يضاعف من أخطار أجهزة الإذاعة المرئية والفيديو أن ما تقدمه من أشرطة يعتمد على ما تنتجه شركات «الفيديو» الأجنبية والأشرطة «المعلبة» المستوردة من دول أوروبا وأمريكا، ولا يخفى ما تحمله هذه الأشرطة من مضامين مدمرة ويكفى العودة إلى عدد من المراجع «لندرك أبعاد أخطار هذا الجهاز خاصة على نفسية الأطفال والشباب وتشكيل سلوكهم ومدى الخلط عند الأطفال بين الحقيقة والخيال الأمر الذى يجعل الأشياء الخيالية التى يعرضها التلفزيون عالماً حقيقياً واقعياً بالنسبة له، ومن هنا يأتى تأثير المثيرات الخارجية ومنها الإذاعة المرئية وتأثيرها في سلوك الأطفال، فيصبح ما يسمع أو يشاهد جزءاً من حياته الخاصة التى تؤثر فيه».

وفى ضوء تلك المؤشرات، فإن النتيجة أن الأجهزة المرئية وأجهزة الفيديو فى الوطن العربى أصبحت وسائل تسطيح وتغييب بدلاً من أن تصبح أداة تثقيف وتوعية وبناء

بسبب المعطيات التى سبق الإشارة إليها، وفى ظل عدم وجود شركات إنتاج إعلامية هادفة المضمون والتوجهات، وحيث أصبحت تلك الأجهزة «أسيرة» شركات انتاج احتكارية. «يلهث» أصحابها وراء الربح بتقديم أشرطة سطحية المضمون ومسلسلات تصيب المشاهد بالتثاؤب بسبب ما تتسم به من رتابة وضعف وإطناب ممل، وبين كل مائة مسلسل عربي يعثر المشاهد على عمل فنى متكامل يضيف إليه شيئاً جاداً جديداً أو يحقق له متعة فنية مفتقدة على غرار المسلسلات الجيدة فناً ومضموناً مثل مسلسل «الأيام» ومسلسل «الطريق إلى القدس» ومسلسل «فتح الأندلس» ومسلسل «سقوط غرناطة» ومسلسل «زينب والعرش» ومسلسل «محمد رسول الله» وأشرطة ممتازة مثل «الرسالة» وشريط «عمر المختار».

وفي غياب مثل تلك الأعمال الفنية التاريخية الممتازة، فإن أجهزة الإذاعة المرئية والفيديو فى كل بيت عربى تتعرض لمزيد من الغزو الثقافى الهدام الرامى إلى تشويه الثقافة العربية وإلى طمس الهوية القومية.

لا نود أن نورد مجموعة توصيات ومقترحات للعلاج تضاف ـ حفظاً ـ إلى مئات الأطنان من التوصيات والمقترحات التى تنوء بحملها الأرفف «العربية»، إنما نكتفى بأن نورد فقط فقرة جامعة مانعة تشخِّص المشكل وتحدد طريق الإنقاذ . . هذه الفقرة وردت فى الوثيقة الفكرية الختامية لمؤتمر الغزو الثقافى التى نظمها بتونس مؤتمر الشعب العربى فى الفترة من 29 مارس ـ 3 ابريل 1982، وأكدت ضمن ما أكدت عند دراسة دور الاعلام فى الاستلاب الثقافى.

«إن الغزو الثقافى هو التفاعل غير الحر وغير المتكافىء، الذى يفرضه الغرب الامبريالي والعدو الصهيونى بشكل مخطط مقصور على عقل الشعب العربى وشخصيته الحضارية. بغية إلحاقنا بالحضارة الغربية فى دور التابع المستسلم».

فالتبعية الثقافية التى تتضافر فيها عقد النقص أمام الأجنبى مع ظروف التخلف الداخلى، هى أخطر حلفاء الغزو الثقافى الوافد من الخارج، يساعدها على ذلك أمية

متفشية يفتقد معها المواطن إلى الحس النقدى القادر على التمييز السليم تجاه الأساليب الكاسحة التى تستعملها وسائل الاعلام الغربية وتعتمد فيها على الإثارة والنجومية والبطولة الفردية والقيم الاستهلاكية. وهذه الوسائل كلها تقدم نماذج للاحتذاء تستهدف إثارة توقعات يتم البحث عن تحقيقها خارج الوطن أو الحياة المستقيمة، مما يؤدى فى النهاية إلى زعزعة القيم العربية السائدة واحلال طريقة الحياة الغربية محلها.

إن الغزو الامبريالى الالكترونى ـ كما أوضحت الوثيقة الفكرية الختامية لمؤتمر الغزو الثقافى ـ يلف الوطن العربى من أقصاه إلى أقصاه، فالأقطار العربية تعتمد على وكالات الأنباء الأجنبية حتى فى تتبع أخبار بعضها البعض، مما يجعل انتقاء الخبر خاضعاً لاهتمامات الوكالات الأجنبية بدلاً من المصلحة الوطنية والقومية.

هـ

العقل العربى وأقنعة الغزو الثقافى

هذا المقال مع غيره من مقالات حول الغزو الثقافى الامبريالى الصهيونى فى الوطن العـربى وعن كيفية التصدى الرادع له، هل يسهم حقيقـة فى تشخيص المرض؟ وقبل ذلك هل الواقع العربى يرغب فى أن يلتزم باتباع «الوصفات» العلاجية ليشفى من أسقامه وأوجاعه.

يسبق كل تلك التساؤلات سؤال واحد محدد هو. . ما الذى أسفرت عنه نتائج المؤتمرات والملتقيات التى عقدت فى عواصم عربية عديدة آخرها مؤتمر الأدباء العرب فى عدن. . ومن قبله مؤتمر ثقافى عقد بدمشق

خصص بحوثه ودراساته لفضح الغزو الفكرى الصهيونى وكيفية محاصرته. كما عقدت بتونس ندوة الغزو الفكرى الثقافى الامبريالى الصهيونى للوطن العربى، وتضمنت ورقة العمل المعدة للندوة من قبل مؤتمر الشعب العربى محاور هامة هى:

- الخصائص القومية للشخصية العربية.
- الغزو الثقافى الامبريالى الصهيونى والاستلاب الفكرى فى الوطن العربى.
- الجذور التاريخية للغزو الثقافى والغزو الفكرى الصهيونى فى التراث الاسلامى والمسيحى.
- الغزو الثقافى الصهيونى للأمة العربية منذ القرن الماضى.
- الغزو الثقافى الصهيونى.
- مواجهة الغزو الثقافى فى الوطن العربى.

إلى جانب كل هذه الملتقيات أفردت المجلات الثقافية صفحاتها لنشر دراسات وملفات عن الغزو الفكرى

وأخطاره، فمجلة الفكر العربى خصصت عددين للفكر السياسى العربى والفكر السياسى المعاصر[1] ومجلة المعرفة السورية عقدت ندوة موضوعها: «نقد بعض المفاهيم الرجعية فى الفكر الثورى المعاصر[2]».

التساؤ ل المحدد هو.. ما الذى أسفرت عنه تلك الجهود والاجتهادات التى صدرت عن حسن نية وعن رغبة جادة فى انتشال الواقع العربى إلى نقيض حالته الحالية وهى حالة مضحكة.. وشر البلية ما يضحك!!.

وفى مأساتنا العربية الحالية يدور الزمن دورته، وتمر السنون وتكر الأيام بينما نحن العرب صامتون نمضغ الكلمات ونباهى غيرنا من شعوب العالم بمرض «الكلامولوجيا»، وفضل تسمية المرض بهذا المصطلح يرجع إلى الأستاذ الكاتب العربى أحمد بهاء الدين وهو وصف دقيق لانبهار العرب بالكلام لمجرد الكلام ثم ينفض السامر ويتفرق الجمع ويتلاشى كل شىء.

دليلنا على مصداقية ذلك أن نرجع إلى الوراء عشرات السنوات نتتبع ما نشر على صفحات المجلات العربية

الأدبية، ومراجعة الكم الهائل من الكتب التى صدرت نجدها تنشر نفس القضايا التى نكتب عنها الآن.. عن الخطر الثقافى والغزو الفكرى!! وعن حتمية التصدى له!! وعن حتمية إعداد استراتيجية ثقافية عربية!! وعن وعن!! وكل ما نقوله مجرد «كلامولوجيا» لأن العدو يتوسع ونحن نكتفى بالكلام! العدو يتسلل بكل وسائل النفاذ إلى كل شبر وإلى كل عقل عربى تشويهاً وتدميراً ونحن نكرر القول ونعيد!

الفارق الجوهرى والأساسى بيننا وبينه هو أننا نفتقد الجدية.. أى انعدام رغبة العمل..لأن العمل حركة والحركة جهد، ونحن العرب نؤثر الراحة على العمل حتى ولو كان مع الراحة فرصة للعدو المتربص لينقض على الوطن العربى بكل أسلحته، وفى مقدمة الأسلحة سلاح التشويه الثقافى يقتحم به عقر ديارنا على مسمع ومرأى النظم والجماهير العربية والمتشكك فى حدوث هذا التواطؤ نسأل أنفسنا قبل أن نسأله وفى حوار هادىء.. هل يخلو بيت عربى واحد من أجهزة مرئية ومسموعة؟ وجهاز

فيديو؟ وبالتالى كم من الساعات نستسلم فيها كل يوم لبرامج وتعليقات ونشرات أخبار إذاعات صوت أمريكا ولندن ومونت كارلو وغيرها من إذاعات لا تبث لوجه الله أو تبث حباً فى نشر الحقيقة، إنما تمولها أجهزة ودوائر امبريالية تسعى إلى (اصطياد) عقل الإنسان وإلى «زرع» ما تريده تلك الأجهزة من إيحاءات مدمرة.

إن أرقام التقارير الصادرة عن منظمة اليونسكو تشير إلى أن إذاعة صوت أمريكا وحدها تبث أسبوعياً 776 ساعة بخمس وثلاثين لغة على موجات قصيرة ومتوسطة.

وبالطبع فإن هذه الإذاعة وغيرها من إذاعات معادية لا تقدم برامجها بأسلوب فج أو بطريقة عقيمة مقززة شأن برامج الإذاعات العربية، لكنها تستخدم أحدث ما وصل إليه علم الاتصال من فنون جذب إنتباه المستمع.. يسترخى إليها ويتعود عليها.. وعندئذ تدس السم فى العسل!

يكفى فى هذا الصدد، أن نُلقى نظرة ـ ولو سريعة ـ على بعض الفقرات التى وردت فى اعتراف الدكتور

جوزيف كلابر أحد العاملين فى شبكة كولومبيا للإذاعة وهو يدلى بشهادته أمام لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس النواب الأمريكى عام 1967 بقوله..

«إن إذاعة الموسيقى الخفيفة لا يمكن أن تحقق أية تأثيرات مباشرة على الإتجاهات السياسية للجمهور، ولكنها رغم ذلك تقدم لنا الفرصة والوسيلة لكى ندخل الأفكار والمفاهيم الغربية، وحتى ولو لم نقدم هذه المفاهيم بشكل صريح متكامل فى أية مرحلة من البرنامج»[3].

قد تكون الإجابة أن المواطن هو الذى يذهب «بأذنيه» إلى هذه الإذاعات.. والرد بأن لا حيلة فى منع إرسال هذه الإذاعات حتى باستخدام أحدث أجهزة التشويش.

فإذا سلمنا جدلاً بصحة هذه التبريرات فماذا عن الإذاعات المرئية، والمفروض أن رحلة وصولها إلى المشاهد تخضع لعمليات فحص ومراجعة؟ فكم نسبة البرامج الأمريكية «المعلبة» فى برامج الإرسال للإذاعات المرئية العربية؟ ونوعية هذه البرامج وما تبثه من قيم

مغايرة ومناقضة للقيم العربية وتنشط فى فرض ثقافات استعمارية، وتسعى فى إحداث عملية إنبهار المشاهد العربى بالحياة والسلوك الأمريكى من تكالب على المادة و «اللهث» وراء الأرباح ولو على جثث الآخرين، وإلى تهيئة الشعور والأذهان فى المشاهد، وكلها عمليات أساسية لعملية الاقتحام الفكرى وتدمير الشخصية العربية القومية.

ما يقال عن البرامج «المعلبة» التى تقدمها الإذاعات المرئية العربية يقال عن أشرطة «الفيديو» التى تقتحم كل بيت، وتتبادل كل ساعتين أو ثلاث ساعات حسب مدة الشريط!! وكلها برامج وأشرطة تحسن الامبريالية الأمريكية اختيارها وترويجها بين شعوب بلدان العالم الثالث، وكثير من هذه الأشرطة خاصة ما يتعلق بموضوعات الجريمة والجنس والجاسوسية، يحرم عرضها داخل الولايات المتحدة لأن المجتمعات الأمريكية والأوروبية لديها ما يشغل وقتها، وتُحسن - إلى حد ما - استثمار هذا الوقت بدلاً من الاسترخاء فى بلادة

لمغامرات «هولك العجيب» وشطحات أخوان بروسللى وإلى خرافات جريندايزر وصحنه الدوار! ! ولخطورة هذه الوسائل (فيديو . . أشرطة خيالة) التى تقتحم الحياة العربية بلا مراجعة يتحتم التركيز عليها لأن أخطارها تصيب قطاعات لا حصر لها من أبناء الشعب العربى، وعلى حد قول السينمائي العربى كامل التلمسانى «إن أشرطة الخيالة فى الوطن العربى بالذات أخطر من الصحافة والأدب لانخفاض نسبة التعليم بين المواطنين ولتحسين الواقع كصورة متكاملة تقدمها الخيالة للناس بشكل محبب إلى نفوسهم»[4] أما غير ذلك من وسائل فإن الإقبال عليه يخص نوعيات محددة واستقدامها يرتبط بالرغبة الذاتية، فالكتاب ـ مثلاً ـ ليس أقل خطورة لكن تأثيراته تتوقف على ثقافة ونوعية ومستوى الشخص الذى يقوم بالاطلاع على محتويات الكتاب فى توقيت يختاره القارىء قبل غيره وبمحض إرادته.

ما قدمناه، نعتقد أنه نقطة البداية قبل الحديث عن أية مواجهة للتغلغل الفكرى ومقومات أساسية لا بد من

مناقشتها بوضوح وصراحة قبل الحديث عن رسم استراتيجية ثقافية مضادة للغزو الثقافى التخريبى من قبل التحالف الامبريالى الصهيونى الرجعى. . يرتبط بالقضية المطروحة إلى المجالات بل االثغرات الأخرى التى ينفذ منها الغزو الثقافى إلى عقولنا. . موضوع التسلل إلى الجامعات لتجنيد أعداد من هيئات التدريس ـ تحت شتى الإغراءات من مكافآت مالية وسفر ومنح ـ متسترة وراء ما يسمى بإجراء البحوث العلمية التى تحسن الدوائر الامبريالية اختيار موضوعاتها وتوجيه الدارسين إلى ما ترغب وتريد. . ومن هذه الأسلحة تشجيع نزيف هجرة الكفاءات العلمية العربية كى تغرد بعيداً عن «أعشاشها» العربية وخارج «سربها» وبذلك تحرم البلدان النامية من أفكار وجهود طيورها المهاجرة إلى أمريكا وأوروبا.

ومن وسائل الغزو الفكرى وغطاءاته عقد الملتقيات والندوات يحضرها صهاينة وأمريكان وعرب تعقد فى كبريات الجامعات الأمريكية ومراكز الدراسات الاستراتيجية فى أوروبا كجزء من عملية الخداع

«والإنبهار» وتطرح قضايا فى منتهى الخطورة تتسرب منها عمداً، عبر وسائل الإعلام، إيحاءات وتوجهات مدمرة يقال بعدها أنها محصلة لقاءات فكرية حضارية بين كبار المتخصصين من العلماء والباحثين الأمريكان والعرب والصهاينة!! على النحو الذى حدث ويحدث سنوياً فى جامعة واشنطون.. وعما نسمع به من اهتمام جامعات أوروبا بالدراسات المتعلقة بالحضارة الإسلامية والتراث العربى!!

وفى كتاب الدكتور ميشال جحا «الدراسات العربية الإسلامية فى أوروبا» ما يفضح الأهداف الاستعمارية والتبشيرية التى تحرك اهتمامات جامعة أوروبا لدراسة الحضارة العربية الإسلامية[5].

نعود مرة أخرى إلى مرض «الكلامولوجيا» كما أسماه الكاتب أحمد بهاء الدين، لنضف له مرضاً ملازماً له هو «الكتابة ـ لوجيا» ـ والتسمية اجتهاد متواضع من جانبنا، فنحن مغرمون ـ إضافة إلى مرض الكلام ـ بأن نكتب ونعيد الكتابة فى نفس موضوعات الأمس.. وأمس

الأمس. . موضوعات ندور حولها ونكرر الحديث فيها برتابة وبالكلمات نفسها، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أننا لا نستوعب ما يكتب أو لا نستفيد مما نستوعب، وكلاهما أمرّ من الآخر، لأن فى عدم الاستيعاب نقص وقصور، وفى عدم الاستفادة غباء ومكابرة .

عودة إلى التدليل على مصداقية هذه القضية التى تتطلب مراجعة ما كتب منذ عشرات السنوات عن الغزو الفكرى، ومتابعة ما صدر من توصيات مؤتمرات الأدباء العرب لنجد رصيداً ضخماً لو نُفذ رُبعه لما وصلنا إلى هذا المستوى ثقافياً وفكرياً!!

أمامنا نص توصية مؤتمر الأدباء العرب الثالث الذى عقد بالعاصمة المصرية فى شهر ديسمبر عام 1957 أى منذ 30 سنة تقول نص التوصية: «يوصى المؤتمر الكتاب العرب ألا يتعاونوا مع دور النشر التى تسىء إلى رسالة الأدب والحرية والقومية بنشر كتب الدعاية الاستعمارية والتفرقة والتعصب».

فهل طُبقت هذه التوصية التى يرجع إصدارها إلى عام 1957؟ أم العكس صحيح؟ ويتمثل فى تكالب الأدباء والكتاب العرب المتعاون مع مؤسسات الامبريالية الأمريكية مثل مؤسسة «فرانكلين» وموسسة «الثقافة الحرة» وما يصدر عن هذه المؤسسات المشبوهة من كتب ومجلات استعمارية تصدر بحروف عربية بتمويل غربى من عواصم عديدة فى العالم.

وفى كتاب «التدفق الحر من جانب واحد» لمؤلفه الدكتور مانكيكار الرئيس السابق لتجمع وكالات الأنباء للدول غير المنحازة يوضح أن هيئة الخدمات الاعلامية الأمريكية تقوم بتقديم الدعم والمساعدة للناشرين الأمريكيين والأجانب ليقوموا بنشر وتوزيع ما يقرب من خمسة ملايين نسخة سنوياً من الكتب التى تتناسب بين الكتب الخاصة والملفات والمسلسلات والكتب المنقولة والمقتبسة باللغة الإنجليزية وبخمس وعشرين لغة أخرى فى مختلف دول العالم. كما يوضح الكتاب أن هيئة الخدمات الإعلامية الأمريكية تقوم بدعم أنشطة

الصادرات لخدمة الطباعة والنشر من تخطيط الحملات الدعائية وتطويرها بما فى ذلك تصوير أسلوب الحياة الأمريكية، وبهـذا تمكنوا من اكتسـاب الأجنبى إلى أسلوب التفكير السياسى الأمريكى فى الداخل والخارج.

وفى المؤتمر المشار إليه حرص القائد الخالد جمال عبد الناصر أن يلتقى بأعضاء الوفود المشاركة فى المؤتمر الثالث للأدباء العرب ليوضح خطورة هذه القضيـة، وتحدث إليهم بكل الصدق بما يصلح نهجاً تلتزم به توجهات الكلمة العربية.

تحدث عبد الناصر ضمن ما تحدث عن «أن التحرر الفكرى ضرورى لنا فى الحرب التى يستخـدم فيها المستعمـر كل الأسلحـة، والأدب والفكر سـلاحـان أساسيان فى هذه الحرب، فأنتم قادة الفكر عليكم واجب أساسى فى توضيح الأمور، وفى إقامة أدب عربى متحرر مستقل خالٍ من السيطرة الأجنبية أو التوجيه الأجنبى».

عودة إلى مصطلح «الكتابة ـ لوجيا» لنرى أن ما نتطرق إليه من قضايـا الغزو الفكـرى على أنها اكتشـافات

جديدة!! هى قضايا قديمة سبق التعرض لها كتابة وقولاً منذ عشرات السنين! والصدفة تلعب دورها حيث تضع بين أيدينا كتابين فى الموضوع ذاته.

الكتاب **الأول** هو كتاب «دفاعاً عن الثقافة العربية» لمؤلفه المرحوم الكاتب فتحى خليل، صدرت طبعة الكتاب الأول فى شهر فبراير عام 1959 م، خصص المؤلف فصوله لكشف أبعاد الحرب الفكرية التى يديرها الاستعمار فى الوطن العربى، ونبّه إلى أسلحة الهجوم الثقافى أو بتعبير أدق أسلحة الحرب الثقافية، محذراً ضمن ما حذر وقتها وبالحرف الواحد من «أن الاستعمار، والقوى الرجعية ما زالت تجدد فى أساليب الهجوم، وما زالت تنوعها وتسدل عليها ستاراً يخفيها ويمهد لها سبيل التسرب، تماماً كما يحتاج الجيش المهاجم إلى ستار من الدخان أو ستار من الظلام للتعمية»[6].

يخلص كتاب فتحى خليل إلى إبراز حقيقة الحرب الثقافية بأنها.. «ليست انعكاساً للمعركة بين التقدم والرجعية فحسب، لكنها جزء من المعركة وجزء خطير،

لأن الأفكار سلاح زئبقى من الصعب محاصرته، ولأن كلمة الثقافة اتخذت بمرور الزمن طابع التقديس، ومن هنا تنبه الاستعمار إلى أهمية استغلال هذا الإتجاه الجارف الذى يطبع عصرنا نحو الثقافة، ولكنه بدلاً من أن يقدم الثقافة قدم السم.

وبعد صدور كتاب «دفاعاً عن الثقافة العربية»، ومرور عشرات السنين على صدوره هل تحقق هدف كاتبه كمساهمة وتجميع لقوى المقاومة تمهيداً لمرحلة جديدة كان ينبغى أن يكون هدفها رد الهجوم الثقافى الأمريكى الذى يشر سمومه على نطاق الوطن العربى كله، وهى معركة ينبغى أن يستمر التصدى لأخطارها باستمرار، لأن النجاح فى إحراز النصر لحماية الثقافة القومية لا يقل عن النجاح فى إحراز النصر فى معركة الاستقلال السياسى والاقتصادي.. هى إمتداد لمعارك الجماهير العربية، معركة طرد القوات الأجنبية، معركة التأميم واسترداد الثروات العربية المنهوبة.

الكتاب الثاني عنوانه «أقنعة الاستعمار الأمريكى»

لمؤلفه الدكتور سامى منصور، صدرت طبعته الأولى فى الستينات من هذا القرن لهدف محدد أورده المؤلف فى السطور الأولى من المقدمة وهو. «إن ساعة المجابهة بيننا وبين الاستعمار الأمريكى قد كشفت على أن بيننا بعضاً كان متشككاً، إذ أنه لا يريد أن يصدق أن الولايات المتحدة الأمريكية وجه استعمارى بهذا القدر من القبح».

وخصص المؤلف فصول دراساته لإبراز مجموعة من الحقائق التى كان يتحتم أن نوفر جهودنا قومياً، وأن نوظف طاقاتنا المهدرة فى عملية التصدى الثقافى المضاد.

أهمية هذا الكتاب أنه يعرى بشجاعة أقنعة الاستعمار الأمريكى وتطبيقاته المدمرة على كثير من شعوب العالم، فجاءت الدراسة لتوضح أن الاستعمار الأمريكى قديم مثله مثل الاستعمار الأوروبى وإن لجأ الاستعمار الأمريكى إلى «صانع الأقنعة» ليقدم إليه احتياجاته بعد أن أصبحت كل الأقنعة تكشف عن الوجه القبيح للاستعمار،

وكانت هذه الأقنعة التى هى فى حقيقتها ليست أكثر من تطوير أو تحوير للأقنعة القديمة للاستعمار، وكل واحدة منها يستحق الوقوف عنده بعض الوقت مثل المساعدات الأمريكية. . والقواعد والأحلاف الأمريكية والاستثمارات الأمريكية. . وأبرز وأخطر هذه الأقنعة المؤسسات الثقافية الأمريكية أى الاستعمار الثقافى.

ودور وأخطار الامبريالية الأمريكية كانت موضع دراسات عدد من الكتاب امريكيين وغير أمريكيين، نذكر منها على سبيل المثال كتاب هربرت شيلل وعنوانه «الاتصال الجماهيرى والامبراطورية الأمريكية». والكتاب الهام الذى أصدره وليام وود روف وعنوانه «تأثير أمريكا على العالم«. فالكتاب الأول يوضح فيه «هربرت شيلل» أن «الاتصال الجماهيرى الآن عماد المجتمع الامبريالى» ويعترف أنه قد «أصبحت دبلوماسية السفن الحربية قطعة أثرية مكانها فى المتاحف ولكن دبلوماسية الاتصال عمل بالغ الرواج فى الوقت الحاضر».

أما وليام وود روف فيورد فى كتابه مدى تأثيرات

الصحف والمجلات الأمريكية على القراء من شعوب العالم، فمجلة مثل الريدرز دايجست كما يصفها «تصور ما في الحياة الأمريكية وأن الدايجست لا تقل عن وكالة الاستعلامات الأمريكية في جهودها لكسب المعـركة الدائرة من أجل السيطرة على عقل الإنسان».

وتلتقى كل تلك الكتب فى مهمة توضيح دور التغلغل الأمريكى لتخريب الفكر والثقافة فى بلدان العالم الثالث وهى حقيقة اعترفت بها الكثير من الدراسات والتقارير على النحو الذى ورد فى التقرير الذى قدم من لجنة الشئون الخارجية إلى الكونجرس الأمريكى. . وتضمن التقرير:

«يمكننا أن نحقق بعض أهداف سياستنا الخارجية من خلال التعامل المباشر مع شعوب الدول الأجنبية بدلاً من التعامل مع حكوماتها، ومن خـلال استخدام أدوات وتقنيات الاتصالات الحديثة يمكننا اليوم أن نصل إلى قطاعات كبيرة أو مؤثرة من السكان فى هذه البلاد، وأن نقوم بأعلامهم والتأثير فى اتجاهاتهم، بل ويمكن فى

بعض الأحيان أن نحرضهم على سلوك طريق عمل معين، وهذه المجموعات يمكنها بدورها أن تمارس ضغوطاً ملحوظة وحتى حاسمة على حكوماتها».

ما سبق توضيحه ليس إلا مقدمات أساسية ينبغى تداركها والنضال من أجل انتزاع الألغام من الطريق وبعدها نضمن قدرة كل سلاح نستخدمه فى عملية تصدٍ شجاعة للغزو التخريبى الامبريالى الصهيونى الرجعى المتستر خلف مصطلح ثقافة.

و. . وفى غياب إنجاز تلك المهام يصبح الحديث عن مقاومة جادة لأخطار الغزو الفكرى مجرد إفرازات لتفاعل مرض «الكلامولوجيا» مع مرض «الكتابة ـ لوجيا».

هوامش

1 ـ مجلة الفكر العربى ـ يصدرها معهد الإنماء العربى عدد اكتوبر ونوفمبر 1981 .

2 ـ مجلة المعرفة السورية .

3 ـ شهادة جوزيف كالاير أمـام مجلس العلاقـات الخارجيـة الأمريكى عام 1967 .

4 ـ كتاب «سفير أمريكا بالألوان الطبيعية» كامل التلمسانى .

5 ـ كتاب «الدراسات العربية والإسلامية فى أوروبا» .
تأليف الدكتور ميشال جحا .
الناشر: معهد الإنماء العربى، 1982 .

6 ـ توصيات المؤتمر الثالث للأدباء العـرب القاهـرة ديسمبر 1957 م .

7 ـ كتاب «التدفق الحر من جانب واحد. . استعمار جديد عن طريق وسائل الإعلام». تأليف د. ر. مانكيكار

الناشر: منشأة النشر والتوزيع ـ طرابلس الجماهيرية.

8 ـ لقاء القائد الخالد جمال عبد الناصر بوفود المؤتمر الثالث للأدباء العرب ديسمبر 1957.

9 ـ كتاب «دفاعاً عن الثقافة العربية»

تأليف: فتحي خليل.

الناشر: دار الفجر الجديد للنشر القاهرة

10 ـ كتاب «أقنعة الاستعمار الأمريكى»

تأليف : الدكتور سامى منصور

الناشر: دار الكاتب العربى ـ القاهرة.

ن

الكلمة العربية.. هل هى كلمة مقاتلة؟

نتساءل هل أصبحت الثقافة العربية حقيقة ثقافة مقاتلة لها دورها ولها فاعليتها فى تحريك الزمن العربى الردىء؟

هل ارتبط الكاتب بقضايا الجماهير الكادحة فقدم لها إنتاجاً خلاقاً مبدعاً يقوى صراعها ضد جلاديها ومغتصبى السلطة منها؟

لماذا فقدت الكلمة العربية حرارتها وبريقها وتحولت إلى ما يشبه قطع الثلج رغم ما تقذفه ـ كل ساعات ـ عجلات المطابع من أطنان الكتب والمجلات وما تسطره ما يسمى بمراكز ومعاهد البحوث والدراسات؟

هل ارتفع إلى مستوى تحديات المصير العربي كل من يحمل القلم من شعراء وكتاب وقصاصين ومحللين سياسيين وغير ذلك من وسائل الاتصال بالجماهير وقنوات التعبير؟

تساؤلات عديدة تتطلب إجابة محددة شجاعة بعيداً عن خداع النفس، ولكم دفعت الأمة العربية ثمناً غالياً نتيجة خداع النفس ومغالطات الذات!! وغطت في نوم عميق مخدرة بأبيات شعر قالها شعراء معاصرون رياءاً ونفاقاً للسلطة، وكجزء من عملية تخدير الجماهير التى قعدت واستكانت بعد استماعها لصياغة جديدة لنفس مضمون بيت الشعر القديم القائل:

الهى بنى تغلب عن كل مكرمة
قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

وتناول هذه القضية الهامة لا يحتاج إلى خداع النفس والمغالاة بذكر قائمة تتضمن عشرات القصائد التى «تتغزل» فى روح المقاتل العربى وفى شهامة وجسارة البطل الفدائى، ولا نحتاج ذكر عشرات الملتقيات

والندوات والمهرجانات الخطابية التي يتبادى فيها كوكبة الخطباء والشعراء مكررين ـ فى رتابة ـ أن الكلمة طلقة رصاص!! وأن القلم سلاح فتاك، وأنه «يجب» و. «ينبغى». . و «يتحتم»، مخاطبين شخوصاً هلامية يلقى على كاهلها مهمة تحقيق «ما يجب» والالتزام بما «ينبغى» ورسم الطريق أمام الحتمية!! وتنتهى تلك الملتقيات بإصدار أكبر «كمية» من التوصيات بعد جلسات طويلة خدع كل وفد عربى فيها نفسه قبل أن يخدع الجماهير، متوهماً ـ في سذاجة ـ أنه أبرأ ذمته أمام الله والتاريخ والأجيال!! ألا يكفى أنه حدد موقفه بأن ألقى بكل التبعة على الاستعمار والصهيونية وأعوانهما، وبعد أن أكد، ـ وطبعاً بتشنج ـ أن الحل فى الوحدة العربية القادمة لا محالة قدوم المنتظرون الثلاثة. . الدجال والمسيح والمهدى! يعتقد البعض أن قدومهم دلائل اقتراب الساعة.

ليست تلك نظرة تشاؤمية نتيجة ما وصل إليه حال الثقافة العربية المعاصرة، إنما هى محصلة استقراء

الواقع العربى بكل ما هو فيه من تدهور وما يسوده من ثقافة استعمارية وسخافات، وبعد تحليل لعلاقة الثقافة بالجماهير، وقبل ذلك علاقة «حملة الأقلام» من المثقفين بالسلطة وتحولهم من كتاب إلى «كتبه» للنظم مهمتهم تنظير الباطل وتبرير الخطايا وتقنين الظلم وتلمس المبررات لكل جريمتها ترتكبها النظم فى حق المواطن وإهدارها لإنسانيته جهاراً نهاراً!!

ولنكن صرحاء فى الإجابة على هذه التساؤلات:

● كم كتاباً صدر فحرك - في صدق - الثورة المتأججة فى أعماق الجماهير؟ وفي المقابل كم عدد الكتب التى صدرت تتغنى بالنظم وتمجد جرائمها وتشيد تقبلها للحرية على أنها أمجاد!! ويتم التزييف طمعاً فى الحصول على أكبر قدز من ذهب المعز!!

فهل عجزت الكلمة العربية المعاصرة أن تقدم كتاباً له فاعلية وتأثير كتاب «معذبو الأرض» الذى سجله بدمه ومعاناته فرانز فانون الأفريقى الثائر المتلاحم نضالياً مع أبطال الجزائر.

● كم أغنية أو نشيد حرك ـ بصدق كلماته وألحانه
إنشاده ـ الجماهير وحولها إلى براكين وأعاصير تقتلع ـ
من الجذور ـ الجلادين والطغاة، وفى المقابل كم عدد
لآلاف من الأغانى التى تغزلت فى الأمير والشيخ
السلطان!

● كم مقال سياسى عبر بصدق عن قضايا الجماهير،
وجد الإنسان العربى ـ نفسه وهمومه ـ فى سطور تلك
لمقالات ، رغم مئات الصحف والمجلات التى تصدر
ى عواصم أوروبا وتفوح من بين سطور صفحاتها رائحة
لذهب الأسود. . والصمت عما يرتكبه النفط من
هازل!!

● كم ملتقى أدبى نجح فى أن يقدم عملاً جاداً
لجماهير، أو فى أضعف الإيمان طبق ولو توصية واحدة
ن مئات التوصيات التى أحسن صياغتها بأجمل وأعذب
لعبارات، وتحدثت ـ بإسهاب ـ عن الفكر والثقافة
لعربية التى ينبغى أن تكون منحازة بالكامل للجماهير . .
الحديث عن الكلمة التى ينبغى أن تتحول إلى رصاصة

قاتلة لتصبح توأماً للبنـدقية!! وعن تفجيـر الوجـدان وعذابات الجماهير وتتكلم عن الواقع المتردى والزمن العربى الردىء.. مع «حشو» السطور والعبارات بأكبر قدر من كلمات.. القتال، المواجهة، الصمود، القهر، الأنين، الجراحات، التألق، التمزق، الإبداع. وأيضاً تستخدم كلمة «البندقية» كقاسم مشترك أعظم يتكرر فى كل سطر وفى كل فقرة من خطب العنتريات!! ولهذا ينفض السامر وتختتم ملتقياتنا دون إحداث أي أثر إيجابى بصرف النظر عن اللافتات التى تجمع السامر تحتها.

● ماذا قدمت أشرطة الخيالة العربية، وكـل قطر عربى ـ بحمد الله ـ يمتلك أضخم مؤسسات وشركات للخيالة، وجيوش جرارة من الفنانين الموظفين، هل نجحت تلك المؤسسات فى أن تقدم ولو شريطاً واحداً ـ على غرار شريط «الجذور» ـ فناً ومضموناً وإخراجاً، أو أشرطة وثائقية تـرد بمنطق محتـوياتهـا على أشرطـة الصهيونية التى قدمت ثلاثة أشرطة عن عملية عنتيبي بأوغنده، بينما عجزت الخيالة العربية أن تقدم شريطاً

واحداً على مستوى يصور جرائم الصهيونية في دير ياسين وتل الزعتر وبحر البقر وحادث الطائرة الليبية التى أسقطها الصهاينة مطلع عام 1973، وغير ذلك من جرائم الصهيونيةضد المقدسات حتى صدق علينا ما قاله أحد الكتاب الغربيين. . «إن العرب في صراعهم مع الصهيونية أسوأ محام لأعدل قضية. . »! ولو حدث مع الكيان الصهيونى ـ لمجرد الاستشهاد ـ ما حدث فى بغداد فى جريمة القصف الصهيونى على المفاعل النووى لأحسن توظيف هذا الحادث للحصول على كسب الرأى العام العالمى ولزرع ما يريد من إيحاءات على غرار ما فعلته الصهيونية فى عملية مطار عنتيبي.

عندما نطرح تلك التساؤلات من أجل ثقافة عربية مقاتلة نود أن نتجاوز حالة التشخيص وردود الفعل إلى حالة الفعل الحقيقى والتحرك المؤثر. . إلى حالة معايشة الجماهير والنضال وسطها ومعها، وليس من مواقع فوقية يقف فيها الكاتب خطيباً تخرج كلماته فى تكبر واستعلاء.

كما أننا بطرح هذه القضية نعرض للواقع العربى فى حقيقته كى لا يقفزمن يجيب ـ فى تشنج ـ وهل نسيت الشاعر المصرى الصاعد أحمد فؤاد نجم، وهل نتجاهل استشهاد الشاعر الفلسطينى كمال ناصر؟ وهل ننكر ما قاله مظفر النواب وسليمان الأحمد ونزار قبانى في التغنى بالقدس عـروس عروبتنا! وعن الدعوة وبإصرار للوحدة ورفض التغرب وعن فضح شيوخ الزيت!!

وهى إجابة للرد تركز على الإشارة إلى «رموز» لم تتكرر كثيراً فكادت تصبح بمثابة الاستثناء لا «القاعدة» وبذلك يصبح الرد إدانة وليس حجة!!.

مع التقدير لما قد يطرح من وجهة نظر تدافع عن الثقافة المقاتلة إلا أن القضية فى شمولها يتطلب تناولها الشجاعة لتحليل مختلف جوانبها المتعددة، إذا كنـا جادين فى إيجاد ثقافة عربية مقاتلة ـ ممارسةً لا شعاراً . . فعلاً لا قولاً.

هذه القضية تحتاج إلى أن نفكر بصوت عالٍ بـحثاً عن إجابة جريئة لتساؤلات كثيرة كى نحدد جوانب القضية

المطروحة، وكى لا نظلم الكتاب بأن نلقى عليهم وحدهم كل تبعة التقصير، ونحملهم - دون غيرهم، كل المسئولية، وربما يكونون ضحايا، بينما نحاسبهم على أنهم جناة من أبرز هذه التساؤلات:

□ هل تحققت الحرية للكتاب، وانتزعوا كيانهم كبشر أولاً كى يبشروا بعد ذلك كدعاة للحرية مستشهدين من أجلها وهل نتوقع من المكبل بالأغلال أن يسهم فى تحرير الآخرين؟ كيف تصدر الكلمات عن التحرر من إنسان يرزح تحت السوط والقهر!!

وقديماً وحديثاً نحفظ ما تعودنا سماعه وتكرار ترديده أن «فاقد الشيء لا يعطيه». وحرية كلمات الأديب مرتبطة بتمتّعه هو أولاً بالحرية.

□ ما هى علاقة المثقفين بالسلطة؟ وهل من السهولة أن يصبح الإنسان فى الوطن العربى - مثقفاً، حتى أن أحد مراكز الدراسات العربية وهو «مركز دراسات الوحدة العربية» خصص منذ فترة ندوة، كان المركز موفقاً فى اختيار عنوانها وهو «صعوبة أن تكون مثقفاً عربياً»؟ شارك

فى الندوة عدد كبير من المفكرين والأدباء، وبرزت حقائق كبيرة تشخص بأمانة علة ما يسود الوطن العربى من أمراض فكرية.

□ هل ترحب النظم العربيـة ـ بصرف النـظر عن كلمات مواد الدساتير ـ بالرأى الآخر، وتفتح صدرها لوجهة النظر المتحاورة، أو المخالفة . . و . . «الأصل فى الفكر ـ إذا جرى مجراه الطبيعى المستقيم ـ هو أن يكون حواراً بين «لا» و «نعم» وما يتوسطها من ظلال وأطياف، فلا الرفض المطلق الأعمى يعد فكراً ولا القبول المطلق الأعمى يعد فكراً، ففى الأول عناد الأطفال وفى الثانية طاعة العبيد»[1].

وبذلك، وفى غياب الحوار بين الآراء المختلفـة ووجهات النظر المتعددة تكرست سيادة الرأى الواحد فى مجتمعاتنا العربية . . ويتكرر اليوم ما كان يحدث بالأمس من تعصب الحاكم لرأيه . . بل ويحق له أن يسحق كل رأى سواه.

ووصلت قضية الفكر العربى قمة المأزق ونتائجها

المنطقية إفتقاد الكاتب للصدق مع نفسه، وتكمن أزمة الثقافة العربية كما يقول الدكتور حسن حنفى، أن 99 بالمائة مما يكتب لا يخرج عن هذا الشرط، وهو انعدام الصدق مع النفس، وتحول الكُتاب إلى كتبه بل إلى ما يشبه «العرضحالجى» يفصّل ما يكتبه حسب رغبة «الزبون» وتتحدد الصياغة طولاً وقصراً حسب القدرة المالية لجيب الزبون!!

ولم يعد الكاتب كما ينبغى أن يكون، وكما كان لفترات فى مراحل نضال الشعوب.. الكاتب المضىء، وإنما تحول إلى كاتب صدى للنظام يسير بركاب الحاكم منظراً ومبرراً بسبب عدة عوامل، إما الخوف أو الشهرة أو الارتزاق أو خلوداً بالنفس إلى الهدوء والإطمئنان أو كل ذلك معاً.

وعلى حد قول الدكتور هشام جعيط فى الندوة المشار إليها..

«إن رجل الفكر إذا صار خادماً للحاكم يفقد تماماً ما

صنعته كرجل فكر، وأن المثقف الذى يدخل السلطة لا يعود مثقفاً، وإنما يصير رجلاً سياسياً»[2].

وأخطر ما تواجهه الثقافة العربية أن الكلمة العربية أصبحت مستهدفة اليوم، ويتمثل الخطر فى التحرك الثقافى الصهيونى بعد ما يسمى بتطبيع العلاقات بين النظام المصرى والكيان الصهيونى وهو تتسلل ينبغى التصدى له، ليس بما تعودناه من إصدار بيانات الإدانة وبالقاء خطب الاستنكار، لأنه غزو نلمسه فى شكل تحرك معادٍ ونشط وفق مخطط وضعته الصهيونية للمنطقة العربية متخذة من سفارتها بالعاصمة المصرية جسراً للعبور المعاكس إلى سائر أقطار المنطقة بكل وسائل وقنوات الغزو من كتب ومطبوعات وأغانى وأشرطة خيالة تزيف الحقائق وتتعمد تشويه الشخصية العربية، وتغزو عقل الإنسان مستهدفة بذلك نزع فكره وقوميته لتحل محلها الفكر الصهيونى، مجندةً من أجل تنفيذ هذا المخطط عشرات المؤسسات ومراكز الدراسات تحت مسميات عربية تستقطب ـ تحت إغراءات المكافآت

الضخمة ـ مئات الجامعيين والباحثين العرب والعاملين في مجالات الثقافة والإعلام والتعليم.

ومواجهة هذا المخطط يكون بنفس الوسائل لإحباط المخطط الأمريكى الصهيونى الرجعى كى نحفظ للمواطن العربى ثقته فى نفسه وتقوى فى أعماقه ارادة الانتصار.

يجىء هذا التحرك، وقد شهدت الساحة العربية حدثين ثقافيين لهما أوثق العلاقات بقضية مسيرة الثقافة العربية وبقضية ارتباط الثقافة المقاتلة بقضية الحرية.

● الحدث الأول.. يتمثل فى بروز الاهتمام بتفجير قضية علاقة المثقف العربى بالسلطة لأنه على ضوء تحديد هذه العلاقة يتحدد موقع الكاتب من الجماهير وقضاياها.

وقد وضح هذا الاهتمام منذ فترة ـ فى انعقاد الندوة التى نظمتها مركز دراسات الوحدة العربية فى بيروت وعنوانها «صعوبة أن تكون مثقفاً عربياً»؟ وما برز فيها من آراء ومؤشرات هامة.

● الحدث الثانى . . يتمثل فى انعقاد ملتقى الأدب المقاتل بطرابلس بالجماهيرية الذى نظمته رابطة الأدباء والكتاب والفنانين دفعاً للكلمة المقاتلة وتبشيراً بالواقع الجديد للإنسان العربى الذى يجسد كفاحه وطموحاته القومية، وما صدر عن الملتقى من مقترحات وتوصيات يكفل تنفيذها تحقيق تلك الطموحات المنشودة.

قيمة الحدث الأول أنه يمثل جرأة مراكز الدراسات العربية فى الاقتحام الشجاع للواقع العربى المتردى وتحطيم الأغلال التى تعوق مسيرته، فلم يتردد المشاركون ـ تحت مختلف التبريرات ـ فى طرح قضايا علاقة المثقف بالسلطة، وهل ترضى النظم للمثقف أن يُناقش، فضلاً عن أن يشك فى تصرفات السلطة وما تطرحه من شعارات!

وطرحت الندوة مدى تأثيرات الأموال النفطية فى هوية المثقف العربى ومن طبيعته سواء بانتقاله إلى الأقطار النفطية العربية كاتباً بدرجة موظف، أو ببقائه داخل قطره يعمل فى مؤسسات ثقافية وصحفية تمولهاويهيمن عليها

الريع النفطى ويمارس بالتالى، ضغوطاً مختلفة على الثقافة العربية فكراً ومنهجاً وإجبار الكاتب العربى على السكوت عن كثير من التصرفات!

وخلصت محصلة حوار هذه الندوة إلى إبراز تأثير السلطات العربية على المثقف العـربى، وأن مفهوم السلطة لا تنحصر فقط فى السلطة السياسية ولكن هناك سلطات أخرى.. سلطة التقاليد.. وسلطة الموروث.. وهى أسباب ـ كما أشار الدكتور حسن حنفى ـ تفرض على المثقف أن يأخذ واحداً من موقفين، إما موقف التابع وبالتالى يكون العقل تابعاً للسلطة مبرراً لها، أو يأخذ موقفاً ناقداً محللاً (لا مبرراً)، وأن السلطة فى واقعنا العربى، كما أوضح الدكتور محمد عماره، من النوع الذى يملى والذى لا يدع مجالاً من الحرية للمثقف المبدع، والنتيجة أن علاقة التبعية من المثقف للسلطة تُحول المثقف إلى «بومه» للسلطة مبرراً لكل تصرفاتها.

كما أن استقلالية المفكر تواجهها تحديات صعبة فى عصرنا، لأن الكلمة الحرة المقاتلة تصل إلى الجماهير

من خلال وسائل اتصال يعجز عن توفيرها فرد أو مجموعة أفراد، إذ أصبحت الصحيفة والكتاب صناعة وفن إلى جانب كونها رسالة، وإنشاء دور نشر ومطابع ومؤسسات صحفية وإقامة مراكز دراسات وبحوث تتطلب الملايين من الدولارات مع هذا التشابك تبدأ «مصيدة» استقطاب النظم للمثقفين وتحويل الكتبة إلى كتاب!! والكتاب إلى كتبه!! ويصبح المثقف موظفاً لدى النظم النفطية بكل ما تمثله الرجعية الفكرية لتلك النظم، فضلاً على ما يطرأ من تغيرات فى فكر المثقف بانتقاله إلى جانب آبار النفط، ومع تدفق الأموال عليه يتغير فكره السياسى والاجتماعى، ويضعف ما كان يسميه يوماً إلتزاماً بقضايا الجماهير، لأنه فى كل كلمة يكتبها - بعد أن أصبح - موظفاً فى النظم العربية النفطية - يلتزم المقاييس الفكرية التى تحددها له تلك الحكومات!!

فى ضوء تحليل الواقع العربى فى الزمن الردىء، وما وصلت إليه الثقافة العربية من مسخ وتخاذل تجىء أهمية القضية التى طرحها فى ثورية وشجاعة القائد الثائر معمر

القذافى فى يوم 10 فبراير 1979 فى كلمته بالجلسة الافتتاحية لأعمال المؤتمر الثانى لوزراء الثقافة العرب بطرابلس بالجماهيرية من ضرورة تعرية ثقافة الإستعمار والتافهين المقلدين وبالدعوة إلى ثورة ثقافية عربية شاملة تجتث التراكمات السخيفة فى الوطن العربى فى ميدان الثقافة العربية، والتى تستهدف تدمير الشخصية العربية، وما أكده الأخ القائد الثائر معمر القذافى بضرورة تحديد مفهوم جديد للنضال الثقافى بقوله:

«لأن الاستعمار الذى عشش فى أذهاننا، هو أخطر من الاستعمار الذى تمركز فى قواعده وفى معسكرات تستطيع أن تداهمها.. ونشن عليها حرباً تحريرية كما حصل فيما مضى، ولكن للأسف هناك عقليات أصبحت رغم أنها عربية، أصبحت غريبة على الأمة العربية»(3).

«وأن سبب ذلك يرجع إلى الثقافة التى كونت هذه الشخصية الثقافة والتعليم، والمنهج التعليمى والثقافى لهذه الشخصية هو الذى جعلها رجعية أو جعلها تقدمية، والدعوة إلى حل هذه المعضلة، وأن يشرب العرب من

منبع، وتصفية هذا المنبع، وبذلك «تخلق» فى المستقبل عقلية جديدة عربية واحدة، وبالطبع ستكون هذه العقلية عقلية تقدمية متحررة لأن النبع أصبح صافياً».

و.. وبتحرر الكاتب من كل صور التحكم والهيمنة والتبعية، يستطيع أن يبدع ويوجه طاقاته، مع طاقات غيره من زملاء الحرف الصادق محققاً الهدف الذى حدده الأخ القائد الثائر معمر القذافى فى خطابه لأعضاء رابطة الأدباء والكتاب والفنانين بالجماهيرية، والذى ينبغى مضمونه أن يصبح شعاراً يناضل الأدباء والكتاب العرب تحت راياته.. فقد رسمت الكلمات الصادقة الطريق الذى ينبغى أن تقطعه بكل ما يتطلبه من جهد وعرق ودم إذا اقتضى الأمر.

لقد حددت الكلمات.

«نريد أن تسود الثقافة الثورية والأدب الثورى
وتكنس إلى الأبد الثقافة الرجعية والأدب البرجوازى..
وأتمنى أن تكون هناك ثقافة تعيد لنا الثقة بأنفسنا..

وهناك أدب يمسح من دماغنا جميع فساد الماضي»[4].

فهل تجد تلك الكلمات صداها نضالاً وعطاءاً.. وقبل فوات الأوان.

هوامش

1 ـ كتاب «تجديد الفكر العربي» بقلم الدكتور زكى نجيب محمود
الناشر: دار الشروق/بيروت.

2 ـ ندوة «صعوبة أن تكون مثقفاً عربياً» التى نظمها مركز دراسات
الوحدة العربية، بيروت، ونشرت تفاصيلها بالعدد 27 شهر مايو
1981 مجلة المستقبل العربى.

3 ـ خطاب الأخ القائد معمر القذافى بالجلسة الافتتاحية للمؤتمر
الثانى لوزراء الثقافة العرب.
طرابلس ـ الجماهيرية فبراير عام 1979.

4 ـ خطاب الأخ القائد معمر القذافى فى لقائه برابطة الأدباء
والكتاب والفنانين بالجماهيرية.

خ

عن الكلمة الضائعة من قاموس الثقافة العربية المعاصرة(*)

خريطة الواقع الثقافى العربى لا تعانى من قلة الدراسات النقدية أو من البحوث التحليلية التى تناقش أزمة الثقافة العربية وتحدد المأزق الذى وصلت إليه، فقد عقدت كثير من الملتقيات والمؤتمرات والحلقات النقاشية، كما صدر العديد من الدراسات نشط فها الباحثون فى تحديد أسباب الركود الذى أصاب الحياة

(*) نشرت تحت عنوان شهريات الثقافة مجلة الثقافة العربية عدد ابريل 1985.

الثقافية العربية المعاصرة، وتتدفق - عقب كل مؤتمر - مقترحات بناء استراتيجية للتنمية الثقافية، وحفلت تلك المقترحات بمصطلحات «ضبابية» راجت وشاعت عن. . التنمية الذاتية العربية. . البنية الثقافية. . الاغتراب الثقافى. . الفكر التقدمى. . التخطيط الشامل للثقافة العربية. . الهوية الفكرية. . نحو ثقافة عميقه للطفل العربى. . الأمن الثقافى العربى. . المعاصرة والأصالة فى التراث. . الغزو الفكرى. .

ليست المشكلة فى ندرة التحليلات، إنما جوهر القضية يكمن فى افتقار روح العمل وافتقاد جدية التنفيذ. . وإلى غياب المتابعة وإلى إهمال ما تم إقراره من توصيات الندوات والمؤتمرات الثقافية.

أن مؤتمرات وملتقيات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم خير شاهد على ذلك فكم من اجتماعات عقدت للجنة الدائمة للثقافة العربية؟ وكم عقدت مؤتمرات للوزراء المسئولين عن الشئون الثقافية فى الوطن العربى؟. . وكم من ندوات نظمت لحفظ التراث

ورعايته؟ وكم من إجتماعات عقدت للجنة التخطيط الشاملة للثقافة العربية؟ وتنظيم نـدوة التعليم العالى والتنمية فى الوطن العربى.. وندوة عمداء كليات التربية ومديرى البحث التربوى.. والحلقات النقاشية التى لا حصر ها حول قضايا الأمن الثقافى والمعاصرة والأصالة فى التراث.. وغيرها من لقاءات واجتماعات سمـع المـواطن العربى عن انعقـادهـا وإمتـلأت صفحـات المجلات والصحف بتوصيات تلك الملتقيات وبياناتها الختامية.. وبعد «الاستماع» تجمد كل شيء فلا متابعة لما تم إقراره من قرارات، بل تضاف قرارات وتوصيات جديدة بعدد ما يعقد من ندوات وملتقيات.

وهذه «عينة» نستشهد بها كنماذج للانفصال بين النداء والأداء.. بين القول والفعل فى عالم الثقافة العربية.. نماذج تكشف غياب المتابعة.. وبالتالى تدور الهيئات الثقافية العربية فى حلقة مفرغة!.

النموذج الأول

أمامنا مقررات مؤتمرات الوزراء المسئولين عن

الشئون الثقافية فى الوطن العربى ومنها دورة الجزائر فى شهر مايو 1983 م.

والتساؤل أين متابعة ما تقرر عن المؤسسة العربية للتعريب والترجمة؟ وماذا عن المعهد العربى للترجمة؟ وماذا عن الموسوعة العربية التى لم يرد العمل فيها عن تخصيص مساحة خمسة الآف متر مربع لها ببغداد لإقامة مبنى الموسوعة عليها وقرار بتكليف مدير المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم باقتراح تشكيل مجلس الأمناء ومجلس إدارة الموسوعة العربية.. هذا بينما الموسوعة اليهودية - ونقولها بمرارة - صدرت منذ عشرات السنوات بل وكانت أول ما قامت بتنفيذه الوكالة اليهودية وتطبع كل عام طبعة جديدة مزيدة، كما طالعتنا المجلات العربية بأن دائرة المعارف البريطانية بصدد الانتهاء من إعداد طبعة عربية لها تغزو بها الأسواق العربية، مع ما فى دائرة المعارف البريطانية من غمز ولمز وتحريفات متعمدة.. وذلك فى غياب الموسوعة العربية التى اكتفت بتخصيص قطعة أرض وانتهى الدور بتشكيل مجلس السادة الأمناء!!

النموذج الثاني:

مؤتمر التراث الفلسطيني الذى عقد بتونس فى الفترة من 21 ـ 18 ديسمبر عام 1982 بمشاركة عدد من المفكرين. وفى ختام المؤتمر تم الاعلان عن تأسيس جمعية سميت بـ «الجمعية العالمية للحفاظ على التراث الثقافى الفلسطينى».

وقيل في المؤتمر، وفى مقرراته الشىء الكثير عن أهمية هذا التراث وعن حتمية الحفاظ عليه وضرورة تمتعه بالحماية الدولية.

لم تمض أسابيع إلا وبدأت ثم توالت عمليات الكيان الصهيونى لإبادة هذا التراث.. فلم نسمع شيئاً عن موقف الجمعية العالمية للحفاظ على التراث الثقافى الفلسطينى ! وكل ما عرفه العالم كلمات شكوى صرخ بها المؤتمر الرابع للوزراء المسئولين عن الشئون الثقافية فى الوطن العربى فى مايو 1983 بالجزائر ونصها..

«إن المؤتمر إذ يعرب عن بالغ قلقه وعظيم سخطه لما

تعرضت وتتعرض له المؤسسات الحضارية فى فلسطين وفى لبنان وخاصة الاعتداء على المسجد الأقصى المبارك والمساجد الإسلامية الأخرى فى الأراضى المحتلة، ونهب ممتلكات المتحف الاسلامى فى القدس الشريف وتدمير مركز الأبحاث الفلسطينية فى بيروت بعد أن سرقت مقتنياته، ليندد المؤتمر بهذه الأعمال الوحشية المنافية للقوانين الدولية والأعراف الحضارية . . »!! و. . وماذا بعد الشكوى والصراخ؟!

النموذج الثالث:

فى شهر مارس 1983 عقدت بالكويت ندوة عمداء بكليات التربية ومديرى البحث التربوى تحت شعار «نحو تطوير البحث التربوى فى الوطن العربى» التى دعت إليها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

وصدرت ـ فى ختام الندوة ـ توصيات عن تطوير البحث التربوى وسبل ووسائل تنشيطه، وعن أهمية التنسيق والتكامل فى مجالات البحث التربوى فى الوطن

العربى، ثم توقف كل شىء عند صدور بيان ختامى اكتفى باقرار. . «أن البحث العلمى أصبح اليوم دعامة الحضارة التى يبنيها الإنسان». . أما ما بعد ذلك فواقع البحث التربوى العربى يكشف ويفضح بمرارة. نفس الشىء ينسحب على «ندوة التعليم العالى والتنمية فى الوطن العربى». التى عقدت بالجزائر فى شهر مايو 1981 بحضور الوزراء المسئولين عن التعليم العالى فى الوطن العربى، و«تغزلت» دراسات الندوة فى أهمية التعليم العالى ودوره فى التنمية الاجتماعية والاقتصادية ومسئولياته فى إعداد القوى العاملة فى الوطن العربى، وانتهت «المغازلة» بإصدار 71 توصية وقراراً عن تطوير مناهج التعليم العالى وأساليبه بحيث يرسخ القدرة على الفهم الموضوعى المتكامل لواقع المجتمعات العربية ومشكلاتها ومقومات خصوصيتها الحضارية.

و. . ويكفى ـ فقط ـ أن نقف أمام التوصية رقم 12 من التوصيات الـ 71 التى مضت سنوات على صدورها. نص التوصية يقول. . «تدريس الحضارة العربية الإسلامية فى

برامج الجامعات ومؤسسات التعليم العالى. بما يحقق ارتباط المتعلم بأصول الحاضر وثقته فى استشراق المستقبل، وبما يبرز إسهام العلماء العرب والمسلمين فى الحضارة الإنسانية وبخاصة فى مجالات العلوم الطبيعية والطبية ومسئولياتهم الحالية فى متابعة هذا الدور الحضارى».

أن القارىء وهو يمر بعينيه على سطور نص التوصية السابقة يتساءل دون مجيب.. أين المعاهد والجامعات العربية من هذا النص ومن المسئول عن تعمد تلك الجامعات فى استمرار «تلقين» الأجيال بكل ما يمجد الغرب وشخصياته، وفى الوقت نفسه يتم تجاهل ما للحضارة العربية الإسلامية من أمجاد وشخصيات ودور ريادى عبر التاريخ فى إثراء مسيرة الحضارة الإنسانية حتى بات المواطن العربى يعرف عن الغرب أضعاف أضعاف ما يعرف عن قوميته العربية وتاريخ العالم الإسلامى!!

تلك كانت مجرد نماذج «توضح أنه لا ينقص العرب

اتخاذ المزيد من القرارات والتوصيات الجديدة. . إنما الـذى يحتاجـونه هـو الإرادة والتصميم لتنفيـذ تلك القرارات. . يحتاجون متابعة أمنية وصادقة لخطط وبرامج العمل قبل أن يضيفوا إليها «أطناناً» جديدة. . يحتاجون إلى القناعة بأن إصدار توصية واحدة مع القدرة على تنفيذها خير وأنفع من إصدار عشرات التوصيات التى تظل حبيسة أدراج مكاتب وأرفف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والهيئات الثقافية المعنية نتيجة لسبب بسيط هو افتقاد روح العمل. . وافتقاد جدية التنفيذ. . ونتيجة الهروب من التعامل مع كلمة أسمها «المتابعة». . الكلمة الضائعة من قاموس الثقافة العربية المعاصرة.

٤

القصيدة المقاتلة وصحوة الجماهير العربية

عندما تواجه الجماهير العربية تحديات مصيرية فإن
لركون إلى ترديد عبارة «أعذب الشعر أكذبه» فإن هذا
لترديد ـ بالمعيار القومى ـ يعد جزءاً من جريمة تغييب
لجماهير بتسطيح المفاهيم بصرف النظر عما يحدثه
يقاع اللفظتين «أعذب» و «أكذب» وكما يسجل الدكتور
ـكى نجيب محمود فى كتابه «جنة العبيط» : «أن العناية
ـالألفاظ كثيراً ما تطغى على دقة التفكير».

هنا تصبح مهمة الفنان والكاتب تمزيق الواقع العربى
المقهور وتعبئة طاقات الجماهير من أجل بناء الغد العربى

المنشود وأن يتصدى لكل من يرتكب جريمة لقتل الأمل لدى الجماهير.

والشاعر العربى يتحتم عليه أن يخوض بإبداعاته معارك أمته.. أن ينتصر لقضايا الجماهير.. أن يجعل من كل بيت فى قصائده الشعرية طلقة فاعلة فى معركة قوية متصلة.

لافتات الشاعر أحمد مطر تجىء بقصائدها معبرة عن صدق الإنتماء، مؤكدة على فاعلية الكلمة الملتزمة.. فكل قصيدة أو «طعنة» كما يقلق عليها الشاعر تحرك وجدان القارىء وتشحذ الهمم وتملأ كل كيان القارىء بالغضب والأمل.. الغضب على ما وصل إليه العرب.. والأمل فى تغيير الواقع المريض المتشرذم والمنكسر إلى حيث ينبغى أن تكون الحياة العربية الحرة الموحدة والمنتصرة.

بداية لماذا يسمى أحمد مطر قصائده بالطعنات؟ تأتى الإجابة:

سبعون طعنة هنا، موصلة النزف

تبدى ولا تخفى
تغتال خوف الموت فى الخوف
سميتها قصائدى
وسمها يا قارئى: حتفى!
وسمنى منتحراً بخنجر الحرف
لأننى فى زمن الزيف
والعيش بالمزمار والدف
كشفت صدرى دفتراً
وفوقه كتبت هذا الشعر بالسيف

والشاعر أحمد مطر فى ديوانه «لافتات» يفرد قصائده لفضح عرب أمريكا الذين يكتفون فقط بتوجيه سيل الشتائم لأمريكا بينما هم فى الخفاء والعلن يمكنون للهيمنة الأمريكية، فيغرقون اراضى بلادهم بالبضائع الأمريكية، بل وأكثر من ذلك يخونون الجماهير بتحويل الأرض العربية لتدنسها القواعد الأمريكية إن «لافتات» أحمد مطر تقول:

بدعة
عند ولاة الأمر

صارت قاعدة
كلهم يشتم أمريكا
وأمريكا
إذا ما نهضوا للشتم
تبقى قاعدة
فإذا ما قعدوا
تنهض أمريكا
لتبنى قاعدة

وتلك الأنظمة التى تخون القضايا القومية حتماً تتفرغ لتنفيذ كل أشكال القهر للإنسان باستخدام أحدث ما توصلت إليه تكنولوجيا القمع. . فهذه الأنظمة الهشة نعامة أمام العدو. . وأسد فى الداخل لافتراس المواطن.

يقول أحمد مطر فى قصيدته:

بينى وبين قاتلى حكاية طريفة
فقبل أن يطعننى
حلفني بالكعبة الشريفة
أن أطعن السيف أنا بجثتى

فهو عجوز طاعن وكفه ضعيفة

وعن مهارة ملاحقة الأنظمة للإنسان العربى تروى واحدة من قصائد «لافتات» أحمد مطر:

تهت عن بيت صديقى
فسألت العابرين
قيل لى: امش يساراً
سترى خلفك بعض المخبرين
حد لدى أولهم
سوف تلاقى مخبراً
يعمل فى نصب كمين
اتجه للمخبر البادىء أمام المخبر الكامن
وأحسب سبعة، ثم توقف
تجد البيت وراء المخبر الثامن
فى أقصى اليمين.

و.. وحصاد ذلك الواقع لا يخرج عن تنبؤات لافتات الشاعر

وفى زمن الأحياء الموتى

تنقلب الأكفان دفاتر
والأكباد محابر
والشعر يسد الأبواب
فلا شعراء سوى الشهداء.

"القارىء لقصائد الشاعر أحمد مطر يلمس توجهات أساسية يلتزم بها الشاعر فى كل بيت من قصائده..

التوجه الأول.. تعرية صادقة لواقع الأمة العربية وما آلت إليه مشخصاً أمراضها وعللها الرئيسية وإنعكاساتها على المواطن ومحدداً دور الجماهير فى تمزيق الواقع العربى وهدم المسرح على كل ممثليه. لأن استمرار الواقع العربى الحالى نتيجته معروفة هى المزيد من التشرذم والتبعية والتخلف وتظل الأقطار العربية مجرد أرقاماً هشة فى عالم لا يحترم الكيانات القزمية الضعيفة.

أما التوجه الأساسى الثانى فى شعر أحمد مطر فيركز على تحديد دور الكلمة الصادقة ـ نثراً أو شعراً ـ فى الالتحام بقضايا الجماهير وأن تظل دائماً مع نبض الشعوب وأن تستمد قوتها من قوة وأصالة وصلابة هذه

الجماهير وإلا حكمت الكلمة على نفسها بـالذبـول والضياع وتحولت إلى حروف باردة فاترة.

و. . وهذه بعض من تمريرات قصائد أحمد مطر والتزامها بالتوجهين الأساسيين. . قومياً ونضالياً. .

عن التجزئة يعرى أحمد مطر هذا التشرذم بقوله:

وطني ثوب مُرقَّعٌ
كل جزء فيه
مصنوع بمصنع
وعلى الثوب نقوش دموية
فرقت أشكالها الأهواء
لكن وحدت ما بينها
نفس الهوية
عفة واسعة تشقى
وعهر بتمتع!

* * *

فرقتنا وحدة الصف
على طبل ودف

وتوحدنا
بتقبيل الأيادى الأجنبية
عرب نحن.. ولكن
أرضنا عادت بلا أرض
وعدنا فوقها دون هوية

فى ظل ذلك الواقع العربى المقهور ماذا صنعت تلك الكيانات الأقليمية المتسلطة على المواطن العربى.. أبيات قصيدة أحمد مطر توفر وقتنا امن التبديد بحثاً عن إجابة دقيقة متكاملة..

لافتة «أحمد مطر تسجل وبمرارة:

نحن فى أوطاننا صرنا
سبايا
ومطايا للمطايا
وعراة فى العراء
وجياعاً فقراء
غير أنّا
تنزف الثروة والزاد

لأصحاب الحوايا
ولأصحاب الثراء
وكفاهم رحمة أن يتركوا
من دمنا فينا.. بقايا
وكفاهم كرماً
أن يمنحونا الذل مجاناً
وأن يحتسبوا القهر عطايا
وكفاهم رقة
أن يمنحونا
حق تقرير البكاء
وكفانا عزة فى ظلهم
أن تقدمنا كثيراً..
للوراء!

وتصل قمة مأساة الإنسان العربى إلى الحالة القاسية التى شخصها أحمد مطر.. لكن الشاعر لا يفقد الأمل.. أمل أن يتحول الشعب إلى ألغام وأن يصبح البغاة شظايا.

بلغ السيل الزُبى
ها نحن والموتى سواء
فاحذروا يا خلفاء
لا يخاف الميت الموت
ولا يخشى البلايا
قد زرعتم
جمرات اليأس فينا
فاحصدوا نار الفناء
وعلينا . . وعليكم
فإذا ما أصبح العيش
قريناً للمنايا
فسيغدوا الشعب لغماً
وستغدون شظايا . .

هذه الدعوة التحريضية من قبل الشاعر لكل الجماهير العربية بواعثها خلاص الإنسان العربى من قيود الخوف ومن سلاسل القهر وخروجه من عالم التغييب ليسترد إنسانيته . . ليصبح حراً فى زمن الأحرار . . والخروج من

زمن الوشاية.. ومن أنظمة القهر.. ومن سطوة العبد على الحر.. ليبقى كل شىء نقياً صادقاً.. وكى تبدد تخوفات الشاعر..

أصابعى تخاف من أظفارى
دفاترى تخاف من أشعارى
ومقلتى تخاف من أبصارى
فكرت فى التفكير بالفرار
من بدنى
لكننى
خشيت من وشاية الأفكار

***

فى زمن القبض على الجمر
وسطوة العبد على الحر
والقهر فى الجو
وفى البر
وفى البحر
قرأت شعرى صامتاً

كتبته فى صفحة البدر
.. لكننى خشيت من وشاية الفجر

ويبحث الشاعر بكل الأمل والرجاء عن شبر من أرض يتوفر فيه قليل من أوكسيجين الحرية.. فهل يعثر الشاعر على الأمل المفقود ليواصل التنفس النقى.. أم يظل بتجرع كلمات ابياته القائلة.

أهرب من خوفى على خوفى إلى خوفى
أركض والموت على خفى
يد الردى على يدى
يد الردى قبالتى
يد الردى خلفى
تحولت خريطة الأرض إلى سيف
ملطخ.. بالدم والخوف!

ذلك واقع القهر فى ليال عربية قاهرة حافلة بالأمل الدامى.. والشاعر فى مواجهته كل الذى يملكه لسان.. والنطق أسعاره باهظة.. والموت بالمجان لأن أنظمة

العلاقات الظالمة السالبة للسلطة لا تسمح إلا بكل ما يطبل ويقنن لعلاقاتها المدمرة!.

لكن الشاعر أحمد مطر يركز على تنمية الأمل فى أعماق الإنسان.. يدعوه ويحرضه إلى أن يشهر السيف وأن يمزق كل طغيان، ويحرضه لأن يطلق الشرار من عينيه لأن الصبر المخدّر مفتاح الأسى.. والسيف وحده مفتاح الفرج!

ومن هذه القناعات كانت ولا تزال تحريضات الشاعر للإنسان العربى.. فى أعلى وأصدق قصائده:

يا أيها الإنسان
يا أيها المجوع المُخوَّف
المهان
يا أيها المدفون فى ثيابه
يا أيها المشنوق من أهدابه
يا أيها الراقص مذبوحاً
على أعصابه
يا أيها المنفى من

ذاكرة الزمان
شبعت موتاً فانتفض
آن النشور الآن
بأغلظ الإيمان
واجه أغلظ المآسى
بقبضتك حطم الكراسى
أما إذا لم تستطع
فجرد اللسان
قل.. يسقط السلطان
أما إذا لم تستطع
فلا تدع قلبك فى مكانه
لأنه مُدان
بالخوف والخذلان
وبانعدام الروح والإحساس
فدقة القلب سلاح بارد
يتركه الشجاع بعد موته
تحت يد الجبان

لكى يدارى ضْعفه
. . . بأضعف الإيمان!

والشعر له رسالته والشاعر له دوره. . ليس مهمتها الزمر والطبل للسلطان. . وإنما لفضح وتعرية ألاعيب الأنظمة ومؤامرات الحكام . . الشعر ـ كما يراه أحمد مطر ـ منشور ثورى يحرض الجماهير ويحذرها من مغبة استمرار الصمت عن غياب الحرية والعدل. . فأكبر الجرائم تهمة الكتمان. .

والشاعر الملتزم بقضايا الجماهير تخافه الأنظمة ويرهبه المتسلطين على شعوبهم. .

كان وحده
شاعراً
يرهب حد السيف حده
وتخاف النارُ برده
ويخاف الخوف عنده
لم تقيده قيود القهر
لكن

هو من قيد قيده
ورمى الرُعب بقلب الجند
لما أضحت الأحرفُ جُنده
وبحرف أعزل
كسر سيف الأنظمة
لم يكن معجزةً
لكن صدق الكلمة
يطعن السيف بورده

ويجوب الشاعر كل شبر من أرض يتنفس فيها إنسان مردداً.

أنا شاعر حر أُعانى
من حرفة الأباء
أقتبس المعانى
ومدادُ أشعارى تقاطر
من دموع الأمهات
فمتى ستوحى بالهوى
شفهُ الهوان؟
ومتى ستطلعُ وردةُ الآمال

فى تلك الدواة؟
شعرى عُصارةُ عصركم
لا تطلبوا منى اصطناع
المعجزات
أوطانكم رهن المنية
والبقية فى حياة الصولجان
ورقابكم تحت السيوف
وحتفكم فوق اللسان
ودماؤكم . . تجرى دراهم
فوق أفخاذ الغوانى
وذواتكم سجادة
لنعال أبناء الذوات
هى بذور حياتكم
واللافتات هى النبات
لا سوق عندى للأمانى
وروحوا اشتروا تلك البضاعة
من دكاكين الولاة
أنا لا أبيع مخدرات

وأين موقع الشاعر فى خريطة النضال الشعبي؟ . تجيب «لافتات» أحمد مطر:

أنا لست إلا شاعراً
أبصرت نار العار
ناشبة بأردية العُفاةْ
فصرخت. . هُبوا للنجاة
فإذا أفاقوا للحياة
ستحتفى بهم الحياة
وإذا تلاشت صرختى
وسط الحرائق كالدخان
فلأن صرخة شاعرٍ
لا تبعثُ الروح الطَليقة
فى الرُفات!

والشاعر أحمد مطر فى أقل الكلمات يشخص أمراض الواقع العربى. . وهذا بعض من جيد نظمه. . فى سطور معدودات يسقط الأقنعة من فوق كثير من الوجوه المزايدة.

كلهم فى ساعة الشِدَّة
آباءُ رغالْ
لا تلوموه
فكل الصف
أمس خارج الصف
وكل العنتريات
قصور من رمال

ويصف حال المواطن العربى فى إيجاز وشمول

أيها الناس
لماذا نهدرُ الأنفاس
فى قيل وقال
نحن فى أوطاننا أسرى
على أية حال
يستوى الكبش لدينا والغزال
فبلاد العُرب قد كانت
وحتى اليوم هذا
لا تزال
تحت يد الاحتلال

والأنظمة التى تقمع الحريات تظل تطارد الشاعر الملتزم وتحول بينه وبين الجماهير. . «والتهم» جاهزة لديها ، لكى يظل الشاعر دائماً متهماً. .

متهم دوماً أنا
حتى إذا ما
داعبت ذبابةٌ ذُبابُهْ
أدفع رأسى ثمناً
لهذه الدُعابهْ!

والشاعر كإنسان . . وتحت وطأة الملاحقة يهمس لنفسه

رب اشفنى
من مرض الكتابة
أو أعطنى مناعة
لأتقى مباضع الرقابة
فكل حرفٍ من حروفى
ورم
وكل مبضعٍ له

فى جسدى إصابة
حتى إذا ناصرتُه
لا أتقى عقابه!

لكن مشاعر التخوف تلك لا تستمر مع الشاعر الملتزم فهو يتغلب على كل مشاعر ويعاود صحوته.. يواجه ويتحدى.. يتصدى بكل ما يملك.. لأن الحصاد إذا ما استمر الواقع العربى على ما هو عليه من تردى. ما سجله أحمد مطر فى إحدى لافتاته..

وفى زمن الأحياء الموتى
تنقلب الاكفان دفاتر
والأكباد محابر
والشعر يسد الأبواب
فلا شعراء سوى الشهداء

و.. وهنا تصبح خطورة تهمة القلم الملتزم والكلمة القومية الصادقة.. وتتواصل رسالة الشاعر الشريف

جس الطبيب خافقى
وقال لى

هل ها هنا الألم؟
قلت له: نعم
فشق بالمشرط جيب معطفى
وأخرج القلم
هز الطبيب رأسه.. ومال
وابتسم
وقال لى:
ليس سوى قلم
فقلت: لا يا سيدى
هذا يد.. وفم
رصاصة ودم
وتهمة سافرة.. تمشى بلا قدم

محتويات الكتاب

صدر من سلسلة
«كتاب الشعب»

م	عنوان الكتاب	المؤلف/ المترجم
1	أغانى العَلَم	عياد موسى العوامى
2	يقظة الضمير	عبد الحميد المجراب
3	عرس الثورة	جمعه المهدى الفزانى
4	فلسطين والكتاب المقدس	ترجمة د. عمر التومى الشيبانى
5	الأمثال الشعبية فى ليبيا	محمد حقيق
6	(14) قصة من مدينتى	كامل حسن المقهور
7	هوامش على تذكرة سفر	محمد أحمد الزوّى
8	معارك الغد	أحمد إبراهيم الفقيه
9	تاريخ المسرح فى الجماهيرية	المهدى أبو قرين
10	أحزان اليوم الواحد	محمد على الشويهدى
11	قراءات فى الأدب	د. صالح أبو اصبع
12	كليلة ودمنة ومقتل عبد الله بن المقفع	محمد أحمد وريّث
13	تساؤلات على خارطة لا تسقط عليها الأمطار	عذاب الركابى
14	قراءة فى هذه التحوّلات	عبد الله بلال
15	قصة الرحالة واكتشاف ليبيا	نجم الدين الكيب

35	ذاكرة الكلمات	خليفه حسين مصطفى
36	خلجات إنسان	عيسى أيوب البارونى
37	كلمة فى قضايا الوطن والأمه	سالم والى
38	الاقليمية وغطاءاتها	تحسين عبد الحى
39	الإسلام ثورة مستمرّة	عبد العزيز كحلوت
40	إيقاعات على الغربة	على محمد عوده
41	الجماهيرية وانتصار عصر الجماهير	عبد الله بلال
42	ثورة صاحب العباءه	عبد الباسط القذافى
43	الصيام فى القرآن	محمد السيد دسوقى
44	دور التربية فى الوحدة العربيه	د. عمر التومى الشيبانى
45	المكتبة وجماهيرية الثقافه	مصطفى بديوى
46	الشعب المسلّح	رياض سيف النصر
47	قراءات وتأملات فى الثقافة الشعبية	عمر المزوغى
48	الانفصال الحضارى	جمعه المهدى الفزانى
49	الغربان وجوقة الجياع	البوصيرى عبد الله
50	المسرح الذى نريده	محسن الخيّاط
51	أسرار القواعد البريطانية فى ليبيا	على شعيب
52	رموز الهزيمة فى الثقافة العربيه	فوزى الطاهر البشتى
53	صور من جهاد الليبيين بفلسطين	السنوسى شلوف
54	الارهاب الامبريالى	محمد المصرى
55	فصائل الدم بين الطب والقضاء	د. ممدوح يوسف الجاسم

56	عرب البرازيل	عبد اللطيف بوكر
57	أواكس طروادة	فارس قويدر
58	تطور التعليم العالى فى ظل الحضارة الإسلامية	د. عمر التومى الشيبانى
59	الكيمياء والدواء	محمد فهمى زعتر
60	عبقرية العرب فى لغتهم الجميلة	د. محمد التونجى
61	الفجر فى عيون الشهداء	فوزى الطاهر البشتى
62	عروس الريف	عمر بلعيد المزوغى
63	أسس التنظيم السياسى فى النظرية العالمية الثالثة	د. أحمد عبد الحميد الخالدى
64	قصيدة البيت الواحد	خليفه محمد التليسى
65	أثر بعد عين	محمد أحمد وريّث
66	الخمر بين الطب والقضاء	د. ممدوح يوسف الجاسم
67	القرود	صادق النيهوم
68	دور التربية فى بناء الفرد والمجتمع	د. عمر التومى الشيبانى
69	ثورة الفلاحين	عبد الباسط عبد الصمد
70	وريقات مطوية	محمد الأسطى
71	القصة فى أدب عبد الله القويرى	أمين مازن
72	دراسات فى الرواية الليبيه	سمر روحى الفيصل
73	زمن القصه	خليفه حسين مصطفى
74	الثمن	عبد السلام أبو رقيبه

75	الشعر شهادة	أمين مازن
76	الحب/الموت. رجل وامرأة	سليمان كشلاف
77	الهنود البرازيليون	عبد اللطيف بوكر
78	مسرحيات بين النقد والتحليل	أحمد بشير عزيز
79	مباديء التنمية والتخطيط الاجتماعي	د. علي الحوات
80	كتابات علي جدار الفن في زمن الثورة	البوصيري عبد الله
81	تعليم البنت في الجماهيريه	أحمد محمد القماطي
82	مرُّ السحاب	د. علي فهمي خشيم
83	الفرد في دائرة المغامرة	رمضان سليم
84	أعندكم نبأ	محمد أحمد ورِّيث
85	كلام في القصة	أمين مازن
86	التربية والتنمية الريفية	د. عمر التومي الشيباني
87	الرقابة الادارية كأداة للرقابة الشعبية	محمد عبد الله الفلاح
88	ملك يبيع أنفه (مسرحية)	عبد الباسط عبد الصمد
89	الصوم	علي مفتاح سيور
90	جحا في ليبيا	علي مصطفى المصراتي
91	الإبل والخيل في التاريخ والحضارة	عياد موسى العوامي
92	أبناء النار وأبناء الماء	أحمد وابراهيم الفقيه
93	آفاق مسرحية	عبد الله هويدي

94	ضفاف الذاكره	فوزى البشتى
95	القصة فى الوطن العربى	محسن يوسف
96	علي صدقي عبد القادر شاعر الشباب	نجم الدين غالب الكيب
97	الضوء والظل	خليفة حسين مصطفى
98	معارك الأمس	كامل الهادي عراب
99	عاشق	سليمان سالم كشلاف
100	دراسات في الأدب	مجموعة كتاب
101	النموذج الثوري فى الأدب والفن	عبدالله القويري
102	تأملات فى نقوش المعبد	خليفة محمد التليسي
103	القضاء الشعبى	عمر محمد المحمودى
104	الحيوانات فى الأمثال العربية	عياد العوامى
105	الشعب المسلح (الحركة والتنظيم)	مصطفى بديوى
106	الخيالة أفق وواقع	رمضان سليم
107	شوق الأجنحة إلى الرحيل (خواطر في الأدب والفن والحياة)	د. أحمد إبراهيم الفقيه
108	المضمون الثورى فى القصة الليبية القصيره	فوزى الطاهر البشتى
109	حبال السفن المعلّقة	أمين مازن
110	عندما نُحب	سليمان كشلاف
111	انتقام الغزلان المسحورة	كامل الهادى عراب

112	دراسات في تاريخ المكتبات والوثائق والمخطوطات الليبية	د. عبد الله الشريف محمد الطوير
113	الإعلام العربي بين المطرقة والسندان	أحمد عاشوراكس
114	أفكار رئيسية فى إدارة الوقت	محمد البخارى
115	التواصل الثقافى العربى	عبد الله بلال
116	اللغة العربية بين الفصحى والعامية	خالد عيسى
117	أهمية التراث فى مهمة النقد	محمد أحمد وريِّث
118	على باب البحر	رضوان أبو شويشة
119	المختار الأنيس من كتاب «عُدَّة الجليس»	عدنان آل طعمه
120	تطور التعليم الفنى فى الجماهيرية	أحمد محمد القماطى

إن قضية التواصل الثقافى العربى قضية وجود
أمة ومصير أجيال كما أن التواصل الثقافى من أهم
ركائز أسلحة المواجهة ومن أقوى مقومات التغلب
على التحديات، يزيد من تصليب أرض المعركة
لأنه يقوى ويعمق أهم مكونات الذاتية العربية
وإذا كانت حصوننا الثقافية مهددة بل ومقتحمة من
الداخل فإن كل الحصون والترسانات حتماً
ستتهاوى عند أول ضربة من العدو..

الثمن

500 درهم
داخل الجماهيرية